

العقائد الإسلامية

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

للأستاذ العلامة

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

رحمه الله

١٨٨٩ ـ ١٩٤٠م

رواية وتعليق

محمد الصالح رمضان

تقـديم فضيلة العلامة الشيخ

محمد البشير الإبراهيمي



دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم : أ ح ش ٢٠٤١
تاريخ : ٢٨/ ١٠ / ١٩٩٥م

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤ـ٦٠.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ـ٠٦ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أخرج المؤمنين من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وبيّن سبيل الهداية وعلّم الإنسان ما لم يعلم، وأرسل رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد .

إن حاجة المسلمين لتعلّم العقيدة وخاصة الناشئة منهم كحاجتهم للهواء الذي يتنفسّونه والماء الذي يشربونه، فلن يكون المسلم مسلماً بغير معتقد صحيح يدفعه إلى طاعة ربه وعبادته عبادةَ حقٍ، فينصلح القلب وتنقاد الجوارح وفق أمر الله عز وجل فيكون مسلماً حقاً يعيش بهويّة صحيحة وانتساب صادق للإسلام. وأمّا من امتلأ قلبه بعقيدة خربة فاسدة، فهذا يعادي الإسلام شاء أم أبى وذلك بمعاداته للعقيدة الصحيحة. ومن منطلق هذه الحاجة وتطلعاً لغدٍ مشرقٍ يكون الإسلام فيه قائداً مهيمناً كما يحب الله عز وجل كان لابد من تنشئة الشباب على مفهوم العقيدة الصحيحة التي يجب أن تكون القضية الأولى التي تحظى باهتمام المخلصين من أبناء هذه الأمة، من هذا المنطلق رأينا نشر كتاب فريد في أسلوبه، بسيط في تناوله، يحظى بإذن الله بقبول جميع المستويات، وبفهم كل الأعمار، يصلح للصغير والكبير والمرأة والرجل، خالٍ من مهاترات المتكلمة وغياهب المتفلسفة، يقعّد القاعدة ويخلص إلى الدليل مع شرح بسيط في التعليق يقرّب المسألة إلى الفهم، ويفتح المستغلق من الألفاظ. أمّا عملنا فيه فهو تخريج الأحاديث وعزو الآيات والتعليق في بعض مواضعه لتتم الفائدة ويحصل المرجو.

فهذا الكتاب كتبه مجاهد نذر نفسه للّه عز وجل دعوة وتعليماً وجهاداً، له الأثر العظيم في نفس مخلصة الجزائر، فهو يجتمع مع شيخ الإسلام ابن تيمية في جهاده ودعوته للعقيدة الصافية النقية. نسأل اللّه عز وجل أن يُحسن إليه وإلى علماء الأمة وأن ينفع بالكتاب المسلمين والحمد لله رب العالمين .

الناشــر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّة إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللّه وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتيَ موسى وعيسى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . [البقرة: ١٣٥ - ١٣٦]

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد أتشرف بتقديم هذا الأثر من آثار أستاذنا الجليل العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى هذا الجيل من نشئنا الصاعد ليستمد منه النور والهداية التي لابد منها لكل مسلم ناشئ ليركز عليها إيمانه حتى تستقيم أخلاقه ويقوّم تفكيره ليثبت أمام زلال الدهر وتقلبات الزمان .

فَإذا ضمنَّا له قوة الإيمان وسلامته ضمنا له كل شيء في الحياة .

وأنا واثق من أن هذه الطريقة السلفية التي سار عليها أستاذنا الإمام في عرض العقيدة الإسلامية هي الطريقة المثلى ، لأنها تتماشى والفطرة البشرية التي جاء بها القرآن لهداية الناس فكانت من جملة أسرار تأثيره في النفوس التي فهمته وتأثرت به من أول وهلة ، وانطلقت من جزيرة العرب تاركة الأهل والعشيرة والوطن لتبشر برسالة اللَّه وتنشرها في الخافقين ، مستهينة بكل شيء مستعذبة الموت في سبيلها ، فكان النصر حليفها . واندهش العالم للفئة القليلة تقهر الفئات الكثيرة بإذن اللَّه ، ولم تستطع أن تقف أمامها قوة في الوجود ، كما بُهتَ العالم من دخول الناس أفواجاً في هذا الدين الحنيف بعد انتهاء جولات الفتح الأولى .

هذا بالنسبة للعهود الأولى ، أما في عهدنا هذا فلعل من آثار بذور الإيمان الصحيح التي بثها مصلحنا الأكبر الشيخ ابن باديس في أمته وكرس لها حياته، ونشرها إخوانه وتلاميذه من بعده ، نجاح الشعب الجزائري ـ الذي يدين له بأكبر الفضل ـ في حربه التحريرية ضد قوى البغي والعدوان الماثلة في الاستعمار الفرنسي ، ومن ورائه التحالف الغربي بجميع معداته وأجهزته الجهنمية في الحلف الأطلسي الذي يعتبر أكبر تحالف عسكري عرفه التاريخ .

وهكذا صمد الشعب الجزائري الفتي الأبي المؤمن بربه بحقه في وطنه ، وتحدى العالم الظالم متدرعاً بسلاح الإيمان الذي لا يُفَلُّ والصبر الذي لا يهون، فضرب أروع الأمثلة في البطولة والفداء التي لا نعرفها إلا في الأساطير أو في حواريِّي الأنبياء والمرسلين ، فهذه معجزة أخرى من معجزات الإيمان تجلت للعالم على أيدي هذا الشعب الفتي البطل، الذي قدم من القرابين على مذبح الحرية مليوناً ونصفاً من الشهداء . أي عشر سكانه .

تلقيت هذه الدروس إملاءً عن أستاذنا الإمام مباشرة في حلق دراسية مسجدية بالجامع الأخضر بقسنطينة في الفترة ما بين ١٦ رجب ١٣٥٣ و٢٥ صفر ١٣٥٤ هجرية (الموافقة لأكتوبر ١٩٣٤ وماي ١٩٣٥ من السنة الميلادية) أي في ثمانية أشهر ، بنسبة حصة واحدة في الأسبوع لا تتجاوز الثلاثين دقيقة ، وسط جمع من الطلاب يقارب أحياناً المائة في أول عهدي بالدراسة العربية الإسلامية .

ولما احتجنا إلى هذه الدروس للتعليم الديني بوزارة الأوقاف لنقدمها إلى تلاميذ (معاهدنا الإسلامية) في فاتح السنة الدراسية (٦٣ ـ ٦٤) عكفت على

تبييضها والتعليق عليها بما لا يتنافى والروح السائدة فيها ، وأنهيت هذا العمل ليلة الاثنين ثاني رجب ١٣٨٣هـ الموافقة لليلة ١٩٦٣/١١/١٨م .

وحفظاً لأمانة النقل ومراعاة الغائب رأيت من واجبي أن أُلفت الأنظار إلى أني حافظت على الأصل في تبويبه وعناوينه كما أملاه صاحبه في الفترة المذكورة ، وما أضفت إليه سوى ترقيم أوائل الدروس والمواضيع ، وأما الأحاديث فقد خرجها صاحبها إلا القليل النادر ، فقد خرجته داخل المتن أو خارجه . أما التعاليق والحواشي التي رأيت أنها ضرورية متممة للأصل فقد جعلتها أسفل الصفحات مفصولاً بينها وبين المتن بخط أفقي ، وأستطيع أن أؤكد بأنها لم تخرج في مجموعها وتفصيلها عن روح ابن باديس رحمه اللّٰه وأرضاه .

واللّٰه أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير ، وأن ينفع بهذه الدروس كما نفع بصاحبها ، وأن يعيننا على نشر آثار أخرى من تراثنا الخالد بمنه وقوته .

الجزائر يوم الاثنين ٢ /رجب /١٣٨٣هـ   الراجي عفو ربه

الموافق لـ ١٩٦٣/١١/١٨ م   **محمد الصالح رمضان**

مقدمة الطبعة الثانية

الكتابة عن إمامنا المبرور العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ليست بالأمر الهين الميسور على كل كاتب ، لاعتقادي أنه لا يكتب عن العظيم إلا العظيم .

ورغم طول المدة على وفاته ، ومع سطوع شمس الحرية على بلادنا لم يكتب أحد عنه ، ليجلي للناس عظمته ، وبعض أفضاله على النهضة المغربية بصفة عامة ، وعلى الأمة الجزائرية بصفة خاصة .

وسمعنا أن العلامة البشير الإبراهيمي عزم على الكتابة عنه ، وتهيأ لذلك ، ولكن يبدو أن مشاغل وعوائق حالت دون أن يكتب بقلمه البليغ ، عما رأى وسمع وشاهد ، (وما راء كمن سمعا) ، حتى لحق هو الآخر بربه رحمهما اللّٰه رحمة واسعة .

ويتعذر على الكاتب العادي أن يلم ببعض جوانب العظمة في هذا العبقري المخلص ، وحسبه أن يشير إلى تلك الآفاق السامقة مجرد إشارة ، كالشعاع الذي يشق الحجب منبثقاً من الشمس فيهدي كما تهدي ، ويدل عليها وإن كان بعضاً منها .

عرفت الإمام في حداثة سني ، حين عزفت عن التعليم الابتدائي الفرنسي ،

لأعيش في رحابة ديني ولغتي ، اللذين لم أكن أعرف عنهما إلا القليل النادر وبمعرفتي به صححت وضعاً أُكرهت عليه ، حين كنت لا أدري عن تلوين مستقبلي شيئاً .. عرفته .. فعرفت أمة في رجل واستشعرت بعدئذ المعنى العميق لقول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر　　　أن يجمع العالم في واحد

واستمر بي المقام في رحاب الشيخ خمس سنوات ، وهي مدة ليست بالطويلة في عمر الزمان ، ولكنها - والحمد لله - أثرت وأثمرت ، بعدما أينعت فيما أظن ؛ إذ استدعاني الإمام بعد ثلاث سنوات فقط من التلمذة عليه لأعاونه، في التدريس لطلابه بقسنطينة مع معاونيه ، ثم عينني معلماً في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ، ومع ذلك لم أنقطع عن دروسه العامة ، وخاصة درس التفسير ، حتى لقي ربه في ١٦/٤/١٩٤٠ م رضي الله عنه وأرضاه .

وقد وعيت عن إمامنا ما شاء الله أن أعي ، وقبست منه ما كان يكفي لهدايتي ، لولا أن طالب العلم كطالب المال لا يشبعه شيء.

وعشت بهذه الذكريات الطيبة ، وعلى هذا العهد السماوي في مدارس جمعية العلماء المسلمين ، مدرساً، ومديراً ، ومفتشاً ، وقتاً ليس بالقصير .

ومما وعيته عنه هذه الإملاءات في التوحيد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، التي لم يفتني منها شيء والحمد لله .

ومن فضل الله أنها لم تذهب في أيام الإرهاق والتضييق والعسف والنسف، كما ضاع كثير غيرها فآلمنا فقده ، ولكن لا يُرجع الأسف ما ضاع !

وكأن صوت إمامنا ما يزال يرنّ في أذني حين إملاء هذه الدروس بالجامع

الأخضر، وقد حذا فيها الإمام حذو السلفية الرشيدة من اعتماد كتاب اللّه ، والصحيح من سنة رسول اللّه ﷺ ، قبل تفسيرات المذاهب المختلفة وتأويلات أصحابها في مرحلة الاختلاط ، والاستشهاد بما عند الأقدمين من أصحاب الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى . ومن المحقق أن بعض الآراء كما كان لها فضل التجلية ، ودقة الاستشهاد كان لها أيضاً أثره الضار في التعمية، أو البعد عن جادة الصواب أحياناً ، مما أثار البلبلة والحيرة . وتشعب الآراء وانبهام الحقيقة أمام الدارس ..

وكان ذلك مما دعا المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد الإسلامية ، وشرح المصطلحات ، وحل القضايا على نمط سلفي واضح . بصريح نص الكتاب والسنة الصحيحة ، لا برأي الجبرية والقدرية وغير ذلك من الآراء الفلسفية ..

فخير طريقة في تعليم العقائد في التوحيد هي طريقة الشارع الحكيم المبنية على مراعاة الفطر الإنسانية السليمة ، البعيدة عن الأوضاع والتقنينات البشرية التي تعب الأوائل في وضعها وأتعبوا الناس في فهمها .

وعلى هذا السنن - وبطريقة واضحة وأبسط - سار الإمام ابن باديس الذي وضع العقائد على أسس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة .

ولو تفرغ ابن باديس للتأليف لجاءنا منه الشيء الكثير ، خاصة وقد انقطع للتدريس ربع قرن وأكثر ، وأتم تفسير كلام اللّه ، وشرح حديث رسول اللّه من (موطأ مالك) رضي اللّه عنه في نيف وعشرين سنة بنفس الطريقة .

ولكنه كان جمّ المشاغل والأعباء : إذ حمل عبء إيقاظ أمة وإنهاض سنة،

وإماتة بدعة ، ومحاربة جهل مطبق ، ومناوأة مغير قوي ضار غشوم .

فإذا قيست مؤلفات الإمام ابن باديس بالنسبة إلى عقله الكبير ، وعلمه الغزير ، وجهاده الخطير ، وسعة الآفاق التي حلّق فيها وجال وصال في الميادين الثقافية والاجتماعية ، بلسانه وقلمه .. لعُدّت شيئاً قليلاً ..

ولكن حسبه ـ كما ذكرنا ـ أنه عاش يؤلف النفوس ، ويُشيِّد العقول ، ويبني الرجال كالجبال ، كما قال عنه العلامة الإبراهيمي ، ويهيئ للنهضة أرشد وأقوم دعائمها في وقت كان ظلامه المطبق ، وإرهاقه المحدق على الجزائر ليس له مثيل حتى ولا في الأساطير .

وما دفعني ـ علِم ربي ـ إلى نشر هذه الآثار ، نفع مادي أو اشتهار ، أو رياء وافتخار ، فتلك والله أبعد ما تكون عن طبعي وطبيعتي ، وينكرها من يتعلق بها أو يجهلني، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ،كما يقول الشاعر المتنبي .

وإنما دفعني إلى كتابتها ونشرها وجه الله تعالى والانتفاع بها واستجابة لرغبة العلامة البشير الإبراهيمي ـ رحمه الله ـ الذي دفعني إلى هذا العمل ، وتهلل وجهه حينما شرعت فيه ، ثم كتب مشكوراً تقديماً له .

ووفاء للإمام ابن باديس وإحياء لذكراه ببعض آثاره، وعملاً بهذا المبدأ الإسلامي العظيم. ﴿ **وذكر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ .

والله أسأل : أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة له ، وأن يوفقنا للعمل لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

الجزائر في غرة شوال ١٣٨٥هـ

جانفي ١٩٦٦م

محمد الصالح رمضان

الطبعة الثالثة

طُبعت هذه العقائد مرتين للمعاهد الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مرة بمطابع الكيلاني بالقاهرة سنة ١٩٦٣ بطريق دار الكتاب الجزائري، ومرة بلبنان سنة ١٩٦٦ بطريق مكتبة الشركة الجزائرية بباب عزون ، ثم طبعت مرات بعد ذلك بطريق التصوير من هذه الطبعة أوتيك .

ولما تعددت الجامعات وكثرت المعاهد والكليات بالجزائر ، وتضاعف طلاب العلم والمعرفة أضعافاً مضاعفة والحمد لله ، واندفع الشباب المسلم من الطلاب وغيرهم في هذه الصحوة الرشيدة ، يتطلعون إلى معرفة الكثير عن أصول وحقائق دينهم من أوثق مصادره وأصفى منابعه ، كثر الطلب على هذه العقائد ، لأنهم يرونها أوثق وأصدق من كتب العقائد التي عملت فيها الأهواء والفرق والنّحل قديماً وحديثاً ما لم تعمل في غيرها ، فكونت فوضى فكرية وبلبلة مذهبية للقراء العاديين والشبان غير المتمكنين .

وقد كلمني في ذلك الكثير منهم ، كما رغب مني بعض الأساتذة والشيوخ وفي مقدمتهم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى أن أعيد طبع العقائد الإسلامية هذه لحاجة الأجيال الصاعدة إليها ، لاختصارها واستيعابها لأصول

العقائد الدينية بطريقة سلفية لا لبس فيها ولا غموض ، مستمدة كلها من الكتاب والسنة لا غير بخلاف كتب التوحيد والعقائد التي تشعب فيها البحث والنظر واتخذ ألواناً من الفكر الفلسفي المستمد من الثقافات الأجنبية والديانات المختلفة. هذا فضلاً عن كتب العقائد للطوائف والفرق الدينية كالشيعة والخوارج والمرجئة، وعلم الكلام الذي توزعت مذاهبه بين الأشاعرة والمعتزلة ، وعمّ الجدل والصراع فيه بين المسلمين إلى حد التفرق والتمزق والتشتت والتفتت ، وأُلفت المؤلفات التي لا تُحصى في التوحيد أو علم الكلام ، وصار له أئمة ومذاهب شتى ، مثلما وقع في علم الفقه وأصول الدين . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما هذه العقائد فهي مستمدة من كلام الله والثابت الصحيح من حديث رسول الله ﷺ فقط لا من كلام فلان أو رأي فلان ، وهي الطريقة المثلى في هداية الناس إلى معاني الإسلام والإيمان والإحسان وعقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

الجزائر يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٤١١هـ

محمد الصالح رمضان

تقديم

بقلم

فضيلة العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي ـ رحمه الله ـ

شيخ علماء الجزائر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، والمجمع العلمي بدمشق .

الحمد لله حق حمده . وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبده ، وعلى آله وأصحابه الجارين على سنته من بعده .

هذه عدة دروس دينية ، مما كان يلقيه أخونا الإمام المبرور الشيخ عبد الحميد ابن باديس ـ إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير مدافع ـ على تلامذته في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن، على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك، وبنت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني، مسترشدة بتلك الأصول التي كان الإمام ـ رحمه الله ـ يأخذ بها تلامذته قبل تأسيس الجمعية ، وإن كانت الجمعية قد توسعت في ذلك .

فالفكرة التي بنى عليها الإمام دروسه وأمانيه .. كانت تصحبها فكرة أخرى أشمل منها وهي فكرة جمعية العلماء . فالفكرتان كانتا مختزنتين في تلك النفس الكبيرة . وكان رحمه الله يديرهما بذلك النظر البعيد ، ويهيئ لهما

من الوسائل ما يبرزهما في الحين المقدر لهما .

وكان يمهد في نفوس تلامذته والمستمعين لدروسه ، ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها ، وحاملي ألويتها ومنفذي مبادئها ، وناشري الطريقة السلفية الشاملة في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني .

كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية.

ومعلوم أن الإصلاح الإسلامي الذي قامت به جمعية العلماء بعد ذلك لا تقوم أصوله إلا على ذلك ، وأن هذا الإمام رفع قواعده وثبّت أصوله وهيأ له جيشاً من تلامذته وحاضري دروسه .

والإمام رضي الله عنه كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية ، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً ، وقد بلّغه الله أمنيته : فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده ؛ ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية.

وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن : فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات : فطهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم ، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس ، وأتت على سلطانها .

وقد راجت هذه الطريقة وشاعت حتى بين العوام، وإن كانوا لا يحسنون الاستدلال بالقرآن، وإن كان الاستعداد الكامن في الأمة للإصلاح الديني، وكثرة حفاظ القرآن فيها أعانا على تثبيت هذا الميل القرآني فيها: فأصبح العامي لا يقبل من العالم كلاماً في الدين إلا إذا استدل عليه بآية قرآنية. وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث .. اهتز وشعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول وهذه أمارة دالة على عودة سلطان القرآن على النفوس يُرجى منها كل خير!

ختم الإمام ابن باديس القرآن كله درساً على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة، ولو أنه رُزق تلامذة حُرّاصاً على تلقف كل ما يقوله وينزل عليه الآيات من المعاني ... لوصل إلى الأمة كثير.

كما وصلت هذه الأمالي بعناية الأستاذ الموفق محمد الصالح رمضان القنطري، فإنه تلقى هذه الدروس ونقلها من إلقاء الإمام واستأذنه في التعليق عليها ونشرها للانتفاع بها فجزاه الله خير الجزاء.

لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أن عالماً ختم تفسير القرآن كله درساً إلا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني أنه ختم تفسير القرآن كله في المائة التاسعة، والشريف حقيق بذلك، ولكن لم يُنقل لنا منه شيء، لأن تلامذته كانوا في التقصير كتلامذة ابن باديس. ولو كانوا على درجة من الحرص والاحتياط ..لوصل إلينا شيء من ذلك.

وقد كتب الإمام ابن باديس بقلمه البليغ (مجالس التذكير)، وهي تفسير لآيات ولأحاديث جامعة كانت تعرض له في تفسير (القرآن) أو في شرح

(الموطأ) التي أقرأها درساً حتى النهاية ، ونشرها في مجلة الشهاب ، ثم فسر سورتي المعوذتين يوم الختم تفسيراً عجيباً ! ونقلها من إلقائه كاتب هذه السطور نقلاً مستوعباً ، بحيث لم تفلت منه كلمة ، ونشره في عدد خاص من مجلة الشهاب وقدم له كاتب هذه السطور أيضاً [1] .

وهذا درس من دروسه ينشره اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة تلميذه الصالح كاسمه محمد الصالح رمضان : فجاءت عقيدة مُثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي ، موحد لربه بدلائل القرآن ، كأحسن ما يكون المسلم النقي ، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه ، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى : (أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم!)

كان علماء السلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدين إلى القرآن ، بل كان خلقهم كما كان النبي ﷺ ، وكما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها : «كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه» وكانوا يحكِّمون القرآن في كل شيء ، حتى في الخطرات العارضة والسرائر الخفية ، حتى تمكن سلطانه من نفوسهم وأصبحت لا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره ونهيه . وأصبحوا يقودون حتى الخلفاء والأمراء بذلك السلطان . وذلك هو السر في علوّ كلمة الإسلام وسرعة انتشاره في المشارق والمغارب .

فلما تفرقت المذاهب الفقهية ونشأ علم الكلام ، وتفرقت منازعه بين

---

[1] وأنا جمعت التفسير في مجلد باسم « تفسير ابن باديس » في أكثر من خمسمائة صفحة . ثم شرحت أحاديث كثيرة له في مختلف الأغراض في سفر واحد تحت عنوان (من هدي النبوة) كما نشرهما في مجلة (الشهاب) ، بعنوان (مجالس التذكير) .

الأشاعرة والمعتزلة ، وطمّا علم الجدل ، وتفرق المسلمون شيعاً ، حتى أصبح كل رأي في علم الكلام أو الفقه يتحزب له جماعة . فيصبح مذهباً فقهياً أو كلامياً يلتف حوله جماعة ويجدلون . فضعف سلطان القرآن على النفوس ، وأصبح العلماء لا يلتزمون في الاستدلال بآياته ولا ينتزعون الأحكام منها إلا قليلاً : فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل . والفقهاء أصبحوا يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم !

ومن هنا نشأ علم الكلام ، وعلم الفقه . وعلى هذه الطريقة أُلفت المؤلفات التي لا تُحصى في العلمين وانتشرت في الأمة وطارت كل مطار .

أما أئمة الفقه ومؤلفاتهم فلا يحصون كثرة .

وأما أئمة الكلام : فالذي توسع في الطريقة العقلية ووسع دائرتها فهم جماعة معروفون كفخر الدين الرازي ، والقاضي أبي بكر بن الطيب ، وأبي بكر الباقلاني ، والبيضاوي ، وإمام الحرمين ، وسعد الدين التفتزاني ، والقاضي عضد الدين الإيجي ، وهؤلاء هم الذين ثبّتوا القواعد الكلامية والاستدلال على التوحيد بالعقل . ومؤلفاتهم ما زالت إلى يومنا هذا مرجعاً للمتمسكين بهذه الطريقة ، وإن كانت لا تدرس في المدارس إلا قليلاً . وكلها جارية على الأصول التي أصّلها أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ، وآراؤه هي التي يقلدها جمهرة المسلمين ، وهذا كله في الشرق الإسلامي .

وأما مغربنا هذا مع الأندلس فلم يتسع فيه الكلام إلى هذا الحد وإن كانوا يدرسونه على هذه الطريقة ويقلدونه ، ويدينون باتباع رأي الأشعري ولم يؤلفوا فيه كتاباً ذا بال إلا الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ، فإنه ألف فيه

على طريقة المشارقة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب ، وقُررت في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر .

حتى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريق السلف في دروسه - ومنها هذه الدروس - وأكملتها جمعية العلماء .

فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد اللّه ، فإن الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود اللّه وصفاته وما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن ، لأن المؤمن إذا استند في توحيد اللّه وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في شأن من أمور الآخرة ، أو صفات اللّه ، فإنها لا تسول له مخالفة القرآن .

وقد سلك علماء جمعية العلماء في دروسهم الدينية كلها ، وخطبهم الجُمُعية طريقة الإمام ابن باديس فرجع سلطان القرآن على النفوس .

فجزى اللّه أخانا ابن باديس عن الإسلام خير الجزاء ؛ فإن من أحيا القرآن فقد أحيا الدين كله . وجزى اللّه إخوانه الذين اتبعوا طريقته توفيقاً للعمل يساوي توفيقهم في العلم ، وجزى اللّه تلامذته الذين قاموا بحمل الأمانة من بعده .

وهذه دروس من دروسه ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة الأستاذ محمد الصالح رمضان، أحد طلابه ، فجاءت عقيدة مُثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي موحد لربه بدلائل القرآن كأحسن ما يكون المسلم السلفي ، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه.

فنحث القائمين على تعليم ناشئتنا في المدارس الحرة أو الحكومية في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية على اتخاذها أساساً في تربيتهم على التوحيد الصحيح ، بل نحث كل أب مسلم أن يقتنيها لأولاده ، ويحثهم على تعلمها وتفهمها ، وأن يشترك أهل بيته كلهم في ذلك فكلهم في حاجة إليها .

وفقنا الله جميعاً لاتباع كتابه ، وسنة نبيه ، والرجوع إليها ، وإلى هدي السلف الصالح في تبيين معانيهما .

محمد البشير الإبراهيمي

* * *

افتـــتـــاح

الْحَمْدُ للَّه نحْمدُهُ ونستَعينُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ونَعُوذُ به من شُرورِ أَنْفُسنَا وَسيِّئَات أعْمَالنَا ، مَنْ يَهْده اللَّهُ فلا مُضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلل فَلا هَادي لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ .

أمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ أصدَقَ الْحَديث كتَابُ اللَّه ، وَخيْرَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ ، وَكُلَّ ضَلالةٍ في النَّارِ[٢] .

* * *

(٢) هذا ما حفظناه عن أستاذنا الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد كان يفتتح به دروس التفسير العمومية كل ليلة طيلة السنوات التي قرأناها عليه ، رحمه الله ورضي عنه .

قواعد الإسلام

بيان قواعد الإسلام الخمس (*)

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إلَهَ إلا اللّه ، وَأَنَّ مُحَمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاءِ الزكَاة ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحجِّ البَيْت**» [٣] .

الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها :

١ـ لا نجاة [٤] لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام

لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منْه** [٥] **وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسرِينَ**﴾ [٦]. ولقوله تعالى : ﴿**إنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [٧] .

(*) القواعد في اللغة : الأسس، جمع قاعدة وهي من البيت أساسه ، وفي الاصطلاح تُطلق على الأصل والقانون والضابط ، وتُعرف بأنها أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته .

والإسلام هو دين الله الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ وهو الانقياد والخضوع ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول . وسيأتي بيانه في المتن لغة وشرعاً .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٦) ، وهذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين ، وعليه اعتماده، ورواه البخاري (٨) أيضاً عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) بتقديم الحج وتأخير الصوم .

(٤) النجاة : الخلاص .

(٥) الدين : الملة والشريعة ، ويبتغ : يطلب ويريد ويرغب .

(٦) آل عمران : ٨٥ .

(٧) البقرة :١٣٢، واصطفى: اختار. والموت على الإسلام وصية إبراهيم وابنه يعقوب لبنيهما عليهم السلام.

٢ـ الإسلام هو دين اللّه الذي أرسل به جميع رسله .

لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (٧) ، ولقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلا نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً (٨) مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٩)، ولقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا (١٠) النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾(١١) ولقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ (١٢) قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) .

٣ـ وما جاء به محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه .

لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيَ(١٤) لِلَّهِ رَبِّ

---

(٧) أي لا دين مرضي عند اللّه سوى الإسلام ، وهو التوحيد والعمل بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ . والتسليم والانقياد لأمر اللّه تعالى .

(٨) حنيفاً : أي مائلاً عن الباطل إلى دين الحق . (٩) آل عمران : ٦٧ .

(١٠) الضمير في (بها) عائد على التوراة ، وهو الكتاب المنزّل من عند اللّه على سيدنا موسى عليه السلام .

(١١) المائدة : ٤٤ .

(١٢) الضمير لليهود والنصارى. والأماني هي المتمنيات الباطلة. والبرهان : الحجة والدليل . بلى: حرف تصديق، يختص بالإيجاب سواء كان ما قبله مثبتاً أو منفياً . وأسلم: سلّم وانقاد وتديّن بالإسلام. وأسلم وجهه للّه : أخلص له نفسه وقصْدَه وعبادته . (١٣) البقرة : ١١١ .

(١٤) الصلاة في اللغة : الدعاء والتسبيح مطلقاً ، وفي الشرع : الأقوال والأفعال المعروفة في الصلاة . والنُّسك : الذبائح واحدتها نسيكة ، والنّسك : الذبح للّه ، ومعنى نسكي هنا عبادتي وتقربي للّه. ومحياي: حياتي أي ما أفعله في حياتي ، ومماتي أي وما أموت عليه على الإيمان والعمل الصالح كله للّه رب العالمين . رب العالمين : اللّه جل جلاله ، والرب هو المالك أو المربي ، والعالمين هم المخلوقات فاللّه مربيهم ومالكهم ومدبر أمرهم والمعنى أن كل ذلك خالص للّه تعالى لا أشرك =

الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١٥].

ولقوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ [١٦] فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا[١٧] فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [١٨] .

٤ـ لا يدخل أحد في الإسلام إلا بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[١٩]. ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّي [٢٠] الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

= معه سواه. وأن أول المسلمين : ينبغي على كل مسلم أن تكون هذه الآية الكريمة شعاره ، في كل مشروع عام أو أمر هام يعود نفعه على المسلمين والإسلام .

(١٥) الأنعام:١٦٢-١٦٣

(١٦) حاجّوك : خاصموك وجادلوك في الدين بعد أن بينت لهم ، ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أي أخلصت نفسي وذاتي كلها لله وحده لا أشرك فيها غيره . ﴿ومن اتبعن﴾ عطف على التاء في أسلمت أي أسلمنا أمورنا لله .

الأميين : الذين يجهلون القراءة والكتابة وهم العرب وقتئذ لأن غالبهم كانوا أميين ، وليسوا أهل كتاب . أما الذين أوتوا الكتاب من قبلهم فهم اليهود والنصارى . وقد آمن العرب والحمد لله بضرورة العلم والتعليم ، وقطعوا في طريقهما شوطاً كبيراً بفضل تحريض الإسلام لهم.

أأسلمتم :اتبعتم وتدينتم بالإسلام ؟ يعني أنه قد جاءكم من البينات ما يوجب عليكم الإسلام فهل أسلمتم ؟ أم أنتم باقون على كفركم ؟ وفيه تعيير لهم بالغباوة والعناد .

(١٧) تولوا : أعرضوا وتركوا .والبلاغ : التبليغ والإنذار .

(١٨) آل عمران : ٢٠.

(١٩) النساء : ١٧٠ .

(٢٠) الأميّ. هذا وصف شريف محمود للنبي ﷺ وهو معجزة له عليه السلام أعانته على دفع ما زعمته الكفار من أن القرآن أتى به محمد من عنده وليس من عند الله ، مع علمهم بأنه أميّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة . وليست الأمية محمودة في غير الأنبياء والمرسلين من بقية الناس .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[21] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِيَ أَحَدٌ مِنْ هذهِ الأمَّةِ** [22] : **يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ». رواه مسلم عن أبي هريرة [23] .

٥ـ الدخول في الإسلام والإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

لقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل [24] لما بعثه لليمن : «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّه وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ**

---

(٢١) الأعراف : ١٥٨ .

(٢٢) الإشارة في قوله ﷺ : (هذه الأمة) لأمة محمد ﷺ ، وهي كل من كان في زمنه ومن جاء أو سيجيء من بعده إلى يوم القيامة من عرب وعجم : لأن محمداً أُرسل خاتماً للأنبياء والمرسلين ، ورسالته عامة للإنس والجن فأمته هم الذين كانوا في وقته ، والذين يأتون من بعده من جميع الأجناس إلى يوم الدين .
وإنما خص اليهودي والنصراني بالذكر ، لأنهما أشد الناس عداوة للإسلام ، ولأنهما صاحبا كتاب . وإذا كان صاحب الكتاب مأمور بالإيمان بمحمد ﷺ فأحرى بذلك غيره ممن لا كتاب له .

(٢٣) برقم (١٥٣) ، ومسلم : هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري إمام أهل الحديث، بل أحد أعلام أئمته وكبار المبرزين فيه . تُوفي بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين ، وهو ابن خمس وخمسين سنة رضي الله عنه. وأبو هريرة الدوسي اليمني هو : عبد الرحمن بن صخر حافظ الصحابة ، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ، لازم النبي ﷺ ملازمة دائمة رغبة في العلم والتعلم ، وأكثر من رواية الحديث لأنه كان متفرغاً لذلك جزاه الله عنا كل خير . أسلم عام خيبر ومات سنة سبع وخمسين رضي الله تعالى عنه عن ثمان وسبعين عاماً .

(٢٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي. شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها ، وكان أحد الأربعة من الأنصار الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، روى عنه جابر وابن عباس وأبو موسى وخلق كثير، رضي الله عنهم .

أَطَاعُوا لِذَلِكَ .. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ (٢٥) عَلَيْهِمْ خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ .. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً (٢٦) تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلك .. فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ »(٢٧) رواه مسلم (٢٨).

٦- أول واجب على المكلف (٢٩) من مسلم بالغ ، أو كافر يريد الدخول في الإسلام : أن يعلم أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ لحديث معاذ المتقدم ، ولحديث وفاة أبي طالب (٣٠) :

«لما حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أُمَيَّة (٣١) فقال رسول الله صلى

---

(٢٥) افترض : أوجب وقدر .

(٢٦) صدقة : هي الزكاة المفروضة . وقد سماها الله صدقة بقوله : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ . . [illegible] من ذلك .

(٢٧) كرائم أموالهم : هي نفائسها وخيارها من الإبل وغيرها ، وكانت الإبل أكرم مال عندهم . والكرائم جمع كريمة وهي الجامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف . وعكسه [illegible] .
اتق دعوة المظلوم : احذر وتجنب دعوته عليك . والمقصود النهي عن ارتكاب الظلم المفضي إلى دعاء المظلوم على الظالم . وطلب نصره والانتقام منه .
يعني أنها مستجابة مقبولة لا تُرد . وفي رواية مسلم : (فإنه) بدل من (فإنها). (وشهادة أن لا إله إلا اللَّه) بالإفراد لا بالتثنية و(فترد في فقرائهم) عوضاً عن (على فقرائهم)

(٢٨) برقم (١٩).

(٢٩) المكلف : هو البالغ العاقل من ذكر أو أنثى .

(٣٠) أبو طالب : هو عم النبي ﷺ وكفله بعد موت جده عبد المطلب ، وهو أبو سيدنا عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين (رضي الله عنه) واسم أبي طالب عبد مناف .

(٣١) أبو جهل : عمرو بن هشام . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة من سادة قريش وأشرافها ، ومن رؤساء المشركين وقادتها . ومن أكثر الناس عداوة للنبي وأصحابه .

اللّه عليه وآله وسلم: «**ياعمِّ قل لا إله إلا اللّه كلمة أشهد لك بها عند اللّه**»(٣٢)، فقال أبو جهل، وعبد اللّه بن أبي أمية: يَا أَبَا طالب ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمطَّلبِ(٣٣) ؟! فَلَمْ يزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلم يَعْرِضُهَا (٣٤) عَلَيْهِ ، ويُعِيدَانِ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمقَالَةَ (٣٥) حَتَّى قَالَ أَبُو طالبٍ آخِر مَا كَلَّمَهُمْ : هو على ملة عبد المطلب(٣٦) وَ أَبَى أن يقول : (لاَ إلَه إلا اللَّهُ (٣٧))» .

---

(٣٣) أي أتعرض عنها وتتركها ؟! وعبد المطلب هو جد النبي ﷺ وأبوعمه هذا .

(٣٤) يعرضها (بفتح الياء وكسر الراء) أي كلمة الشهادة .

(٣٥) يعيدان : بالتثنية . والضمير لأبي جهل وعبد اللّه بن أبي أمية . وتلك المقالة هي قولهما (أترغب عن ملة عبد المطلب) ؟ وفي رواية مسلم (ويعيد له) بالإفراد حينئذ فالضمير للنبي ﷺ وتلك المقالة : هي قوله ﷺ «**قل لا إله إلا اللّه كلمة أشهد لك بها عند اللّه**» .

والمعنى : أن النبي ﷺ كان يلح على عمه أن ينطق بكلمة الشهادة ، ولذلك كان يعرضها عليه ويعيدها له .

والنووي يقول : وقع في جميع الأصول ويعيد له يعني أبا طالب ، وكذا نقله القاضي رحمه اللّه عن جميع الأصول والشيوخ وقال وفي نسخة : ويعيدان على التثنية لأبي جهل وابن أبي أمية . قال القاضي : وهذا أشبه .

وما أثبته أستاذنا الإمام ابن باديس ـ وهو محقق في هذا الباب ـ إلا لاعتقاده صوابه . واللّه أعلم .

(٣٦) من حسن الأدب أن يروي الإنسان كلام غيره إذا كان قبيحاً ـ فضلاً عما إذا كان كفراً ـ بضمير الغيبة مثل ماورد هنا .

(٣٢، ٣٧) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) في صحيحيهما من رواية سعيد بن المسيّب عن النبي ﷺ.

وتمامه فقال رسول اللّه ﷺ : «**اما واللّه لاستغفرنّ لك مالم أنه عنك**» فأنزل اللّه عز وجل: ﴿**وما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾. وأنزل اللّه تعالى في شأن أبي طالب : ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ اللّه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾ .

وفيه دليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يشرع في النزع ، وهو الغرغرة . ونسخ جواز الاستغفار للمشركين .

والدليل على أن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل .

ولقوله صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَإِلَهَ إلا اللّه ، وَيُؤْمِنُوا بِي وبمَا جِئْتُ به ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُم إلا بِحَقِّها ، وَ حِسَابُهُمْ عَلَى اللّٰه** [٣٨] » .

٧ـ لا يكفي النطق بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما لا يفهم أصل معناهما.

لقوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم في الحديث المقدم : «**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لاَ إِله إلا اللّٰهُ ، وَ يُؤْمِنُوا بِي وَ بِمَا جِئْتُ بِهِ** ».

٨ ـ ويكفي للدخول في الإسلام ما دل على معناها . لحديث بني جذيمة ، قال عبد اللّٰه بن عمر [٣٩] :

---

(٣٨) روى الحديث مسلم (٢١) وغيره عن أبي هريرة ، يشهدوا : يعلموا ويتحققوا وحدانية اللّٰه تعالى . ومعلوم أن المراد بالناس هنا : الناس المشركون .

يؤمنوا بي : يصدقوا بنبوته ورسالته .

عصموا : حفظوا ووقوا . أي إذا أطاعوا وامتثلوا لما جئتهم به حفظوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق من حقوق الإسلام : كمن قتل نفساً بغير نفس ، أو بغير ذلك من موجبات القصاص الشرعي ، أو امتنع من أداء الزكاة ، أما حسابهم بعد ذلك على سرائرهم ، فعلى اللّٰه المطلع على كل غيب .

ونحن مأمورون بالحكم على الظواهر وترك السرائر للّٰه .

(٣٩) بنو جذيمة : حي من كنانة كانوا بأسفل مكة على بعد ليلة منها ، يُنسبون إلى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة .

وجذيمة بضم الجيم وفتح الذال المعجمة بعدها ياء (آخر حروف الهجاء) ساكنة هكذا رويناه عن أستاذنا الإمام ابن باديس .

وفي شرح العيني على البخاري : بفتح الجيم وكسر الذال ومثله في فتح الباري على البخاري .

وعبد اللّٰه بن عمر : هو ابن سيدنا عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين (رضي اللّٰه عنهما) أسلم مع أبيه وهو صغير .

بل رُوي أنه أول مولود وُلد في الإسلام واستصغر يوم أحد ، وشهد الخندق وما بعدها وقال =

«بعث النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم خالد بن الوليد [٤٠] إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون : صبأنا[٤١]، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منّا أسيره . فقلت : واللّه لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره حتّى قدمنا على النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم فذكرناه له ، فرفع النبي ﷺ يده فقال : «**اللهم إني أبْرأُ إليك ممَّا صَنَعَ خالد مرَّتَيْنِ** [٤٢] » رواه البخاري [٤٣] .

= فيه النبي ﷺ إنه رجل صالح .
وقال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد اللّه بن عمر . وهو من الرواة البارزين توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل أربع وسبعين (رضي اللّه عنه).

(٤٠) خالد بن الوليد هو سيف اللّه المسلول على الكافرين ، والقائد الذي لم يُغلب . وهو فاقئ عين الردة وفاتح السواد ، وصاحب يوم اليرموك ، والذي أبلى في جهاد دولتي الروم والفرس البلاء الحسن . ولا يعرف التاريخ قائداً أعظم منه ، أسلم سنة ثمان ومات سنة إحدى وعشرين بحمص .
وهو القائل لما أدركته الوفاة : شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبراً إلا وفيه طعنة أو ضربة، وها أنا ذا أموت في فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ! وكان ذهاب خالد إلى بني جذيمة بعد فتح مكة وقبل غزوة حنين في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من أنصار ومهاجرين وغيرهم.

(٤١) صبأنا : من صبأ إذا خرج من دين إلى آخر. وكان القرشيون يقولون لكل من أسلم: صبأ.
وبنو جذيمة يريدون بقولهم : (صبأنا) أسلمنا .
وقد فهم ابن عمر أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ولذلك لم يقتل أسيره وأمر أصحابه ألا يقتلوا أسراهم.
أما خالد فإنه لم يفهم منهم الدخول في الإسلام ولذلك قاتلهم حتى يصرحوا بالإسلام . ولم يكن خالد في فقه الدين وفهم أسراره كابن عمر وغيره من فقهاء الصحابة ، ولذلك خفيت عليه هذه المسألة.

(٤٢) لعل النبي ﷺ ما نقم من خالد إلا عجلته وعدم تثبته كما قال الخطابي ، وقد اعتذر عن خالد أئمة (يُعتد برأيهم في مثل هذا) بأعذار واضحة صريحة ، ولا أدل على أن ما فَعَله خالد ليس إلا عن اجتهاد وتأويل من أنه بقي حائزاً ثقة النبي ﷺ متمتعاً برضاه ، وقد أولاه قيادة جيوش أخرى بعد هذه الحادثة .

(٤٣) برقم (٧١٨٩) ، و البخاري من أئمة الرواة المشهورين وهو أبوعبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري ، أولع بالأحاديث النبوية الشريفة ، وطاف من أجلها المدن والأمصار ينشد ضالته =

٩ ـ ولا يكفي النطق بالشهادتين وفهم معناهما .. إلا مع التصديق التام والاعتقاد الجازم به .

لقوله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّه** (٤٤)﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿**إِذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ قَالوا نَشْهدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه واللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** (٤٥)﴾(٤٦) .

١٠ ـ من حصل له اليقين بإخبار الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم كفاه ذلك اليقين لحديث ضمام بن ثعلبة . قال أنس رضي اللّه تعالى عنه :

(بينما نحن جلوس مع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله (٤٧) ثم قال : أَيُّكُمْ محـمَّدٌ ؟ قلنَا : هذا الرجل الأبيض المتكئ.

فقال : ابن عبد المطلب (٤٨) فقال النبيُّ صلى اللّه عليه وآله وسلم : «**قد أَجبْتُ**»(٤٩) .

= فيها، يتصل بالمحدثين ويأخذ منهم. له كتاب (الجامع الصحيح) المشهور (بصحيح البخاري) وهو أول كتب السنة في الحديث وأفضلها على الأرجح عند المحققين ، ولذلك أحلَّ الناس البخاري محلَّ الإمام المتبع بين علماء هذا الفن . وشهد له علماء عصره بتفرده في الرواية والدراية . وقد بذل في نقد الأحاديث وتمحيصها ما هو فوق الطاقة المألوفة في البشر . (رضي اللّه عنه).

(٤٤) هذا شطر من كلمتي الشهادة وهو آية قرآنية (١٩) من سورة محمد ﷺ والشطر الثاني منها هو : ﴿**محمد رسول اللّه**﴾ آية قرآنية أيضاً في آخر سورة الفتح فكلمة الشهادة إذن متركبة من آيتين هما ﴿ **لا إله إلا اللّه**﴾ ﴿ **محمد رسول اللّه** ﴾ .

(٤٥) فَنُطْقُ المنافقين وفهمهم للشهادة لم يفدهم لانعدام تصديقهم وعدم اعتقادهم بما يقولون ، والمنافق من يظهر غير ما يبطن. وهو شر من الكافر؛ لأن الكافر حاله ظاهر. (٤٦) المنافقون: ١ .

(٤٧) أناخه : أبركه . وعقله : ثَنى ذراعه فشدها بالعقال وهو الحبل .

(٤٨) ابن عبد المطلب: هو على حذف النداء أي يا ابن عبد المطلب .

(٤٩) أجبت: أي نعم أنا ابن عبد المطلب .

فقال : إنِّي سائلك فمشدِّدٌ عليك في المسألة فلا تجدْ (٥٠) عَلَيَّ في نفسكَ ، قال: « **سل عما بدا لك**» (٥١) .

فقال : أسألُكَ بربِّكَ (٥٢) وربٍّ من قبلك : آللَّهُ أرْسَلَكَ إلى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ قال: «**اللَّهُمَّ نعمْ**» .

قال : أُنْشِدُك باللَّهِ (٥٣) تعالى : آللَّه أمَرَكَ أنْ تَصومَ هذا الشَّهْرَ (٥٤) من السنَة ؟ قالَ : « **اللّهُمَّ نَعَمْ**» .

قال أنشدك باللَّه تعالى : آللَّه أمَرَكَ أنْ تَأْخُذَ هذه الصَّدَقَةَ (٥٥) مِنْ أغْنِيَائِنَا ، فَتقْسِمَهَا عَلى فُقَرَائنَا ؟ قال : «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**».

قال الرَّجُلُ : آمَنْتُ بما جِئْتَ بِهِ ، وَأنَا رَسُولُ (٥٦) مَنْ وَرَائِي من قَومِي ، وأنَا ضِمامُ بن ثعلبة أخو بَني سعد بن بكرٍ (٥٧)) . رواه البخاري ومسلم(٥٨) وغيرهما .

---

(٥٠) وَجَدَ عليه : غضب ، ووجد به أحبه حباً شديداً ، ووجد له حزن .

(٥١) بدا لك : عما ظهر لك .

(٥٢) أسألك بربك : أتحلّفك بالذي خلقك .

(٥٣) أنشدك باللَّه : أسألك وأستحلفك به تعالى .

(٥٤) هذا الشهر : الإشارة لشهر رمضان لأن هذه المحادثة كانت فيه ، ولذلك لم يذكره واكتفى بالإشارة إليه .

(٥٥) الصدقة : المراد بها الزكاة الواجبة قال تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ .

(٥٦) رسول : بمعنى مرسول من قومه للسؤال والوقوف على حقيقة الدين الجديد .

(٥٧) أخو بني سعد بن بكر : أي من قبيلتهم ومن هذه القبيلة حليمة السعدية مرضع النبي ﷺ فبنو سعد بن بكر إذن أخوال النبي ﷺ من الرضاع .

(٥٨) خ (٦٣) ومسلم بطريق ثابت عن أنس بمعناه برقم (١٢).

١١ - يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله ويستعمل عقله للفهم ، كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسلام .

لقوله تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا [٥٩] ماذَا في السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾[٦٠] ، ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ ممَّ خُلِقَ [٦١]﴾ ، ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلى طَعَامِهِ [٦٢]﴾ ، ﴿أفَلاَ يَنْظُرونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وإلى السَّماءِ كيفَ رُفِعتْ * وإلى الجبالِ كيف نُصبتْ * وَإلَى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحتْ [٦٣]﴾ !

(٥٩) انظروا : أي نظر تفكير واعتبار ، أو نظر استغلال واستمتاع بما يقع تحت سمعكم وبصركم في السموات والأرضين .

(٦٠) يونس : ١٠٣ .

(٦١) الطارق : ٥ . المعنى لينظر الإنسان إلى نفسه كيف خلق من ماء دافق يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، ثم يودعه الله في رحم المرأة نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة ، وغير مخلقة حتى يتم حمله وفصاله، ثم يخرج إلى العالم ويجتاز أطوار النمو البشري : الطفولة والغلومة والشباب والكهولة . ثم يتدرج في المعارج . ثم يعود فيرد إلى أرذل العمر فتبارك الله أحسن الخالقين .

(٦٢) عبس : ٢٤. والمعنى : لينظر الإنسان إلى مايحيط به كالطعام التي يقتاته وتتوقف عليه حياته ، كيف أعده الله له : ﴿أنّا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً* وعنباً وقضْباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلباً * وفاكهة وأبّاً * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ ، ثم كيف هضمه في المعدة للانتفاع به ، وبه تتغذى وتنمو الإنسان والحيوان .

(٦٣) الغاشية : ١٧ - ٢٠ والمعنى : ولينظر الإنسان ما يحيط به من حيوان كالإبل الملازمة للعرب في سفرهم وإقامتهم، والتي منها يأكلون ويشربون . ويلبسون . وعليها يرتحلون ويحاربون ، وبها يتفاخرون ويتغنون ، فليتأملوا خلقها من صبر على الجوع والظمأ وتحمل لأتعاب السفر ومشاقه . ولينظروا إلى السماء كيف رُفعت بغير عمد . وإلى الجبال كيف نُصبت كالعمد أوتاداً للأرض ومعالم للسائرين عليها .

ولينظروا إلى الأرض كيف سُطحت للناس ومُهدت ، ليتمكن لهم السير فيها والانتفاع منها.

هذه أمثلة لكيفية النظر المطلوب في آيات الله السمعية والكونية مما يقع تحت حس العرب وبصرهم في بداوتهم وحضرهم .

١٢ ـ النظر الواجب على المكلف هو النظر على الطريقة التي جاء بها القرآن، كما في الآيات المتقدمة لقوله تعالى :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ (٦٤)﴾ .

١٣ـ من عرضت له شبهة (٦٥) وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه، أو بسؤال غيره من أهل العلم لقوله تعالى :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ (٦٦) مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(٦٧)، ولقوله تعالى : **﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** (٦٨)، ولقوله تعالى : **﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**(٦٩) .

١٤ ـ من وردت على قلبه خطرات من دون شبهة فليستعذ بالله (٧٠) وليقل: آمنت بالله ورسوله . لقوله تعالى :

---

(٦٤) التوبة ٦، استجارك : طلب جوارك أي التجأ إليك مستغيثاً بك طالباً ذِمَامك وأمانك فأعطه إياه ، لتسمعه كلام الله، وهو المراد من الاستشهاد هنا بهذه الآية .
وأبلغه مأمنه : أوصله إلى موضع أمانه ، انتفع بتفكيرك أو لم ينتفع .
يظهر أن الاستشهاد بهذه الآية بعيد ولكن المقصود منها عرض آيات الله على الغير ليستعملوا فيها أفكارهم .

(٦٥) الشبهة: المأخذ الذي يلتبس فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام وسُميت بذلك لأنها تشبه الحق .

(٦٦) ريب : شك .

(٦٧) البقرة : ٢٣ .

(٦٨) يونس : ٩٤ .

(٦٩) النحل : ٤٣ .

(٧٠) الاستعاذة بالله هي الالتجاء إليه والاعتصام به من شر هذا الوسواس الخناس .

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ (٧١) فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٢).

ولحديث أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ : مَنْ خَلَقَ كَذَاوكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** »(٧٣)، ومن طريق آخر : «**فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** (٧٤)» .

* * *

(٧١) النزغ: هو الإفساد والإغراء ، ونزْغُ الشيطان وساوسه وما يحمل به الإنسان على ارتكاب المعاصي يقال : (نزغه الشيطان إلى المعاصي) إذا حثه عليها ورغَّبه فيها ، ونحن نقول : (نزغ فلان الدابة) إذا همزها بالمهماز أو غيره ليحملها على السير .

(٧٢) فصلت : ٣٦ .

(٧٣) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) . وغيرهما

(٧٤) والخلاصة مما تقدم :

أ ـ أن الإسلام هو دين اللّٰه المرضي ، وخاتمة الرسالات السماوية ، ولا بد لكل إنسان من الإيمان به .

ب ـ وشروط الدخول في الإسلام : الشهادة بوحدانية اللّٰه تعالى ، ورسالة محمد ﷺ ، ولابد من النطق بهما . أو مادل على معناهما إذا تعذر النطق بلفظهما .

جـ ـ ولا بد من التصديق والاعتقاد الجازم بعد النطق والفهم .

د ـ والنظر في الآيات الكونية في كتاب اللّٰه الصامت (الطبيعة) وكتاب اللّٰه الناطق (القرآن) [illegible] .

بيــان معنى الإســلام

١٥ـ يجيء لفظ الإسلام في لسان الشرع مراداً به الدين كله الذي جاء به محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم من العقائد والأعمال والأحكام .

لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ .

ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ ... الخ**» .

١٦ـ الإسلام الذي سُمِّي به الدين معناه الانقياد [٧٤] للّه تعالى ظاهراً وباطناً، والإخلاص [٧٥] له فيهما . لقوله تعالى :

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** [٧٦] ﴾ .

ولقوله تعالى : ﴿**بَلَى** [٧٧] **مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ**

---

(٧٤) الانقياد : الخضوع والإذعان والاستسلام للّه عزَّ وجلَّ .

(٧٥) الإخلاص : الصفاء والخلوص من أخلص له الحب أو النصيحة ، إذا خلصهما وصفاهما من الغش والكدر، والرياء.

(٧٦) النساء : ١٢٥ . أسلم له وجهه : انقاد له وأخلص له نفسه وقصده .

والحنيف : المائل عن جميع الملل الضالة إلى الدين الحق .

والخليل : الصديق المخلص، والحبيب ، والصفيُّ .

(٧٧) بلى : حرف تصديق يختص بالإيجاب سواء كان مثبتاً أو منفياً .

رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٧٨). ولقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(٧٩) .

١٧ ـ الدين كله انقياد للّه وإخلاص له ، ولذلك سُمي إسلاماً . لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ (٨٠) لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٨١) ﴾ .

١٨- ويجيء الإسلام في لسان الشرع أيضاً بمعنى الأعمال الظاهرة الدالة بحسب الظاهر على الانقياد والإذعان (٨٢) المبنية على التصديق التام لما جاء في حديث سؤال جبريل (٨٣) عليه السلام قال :

« يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم: **الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَن لا إِلَه إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ،**

---

(٧٨) البقرة : ١١٢.

(٧٩) آل عمران : ٢٠ .

(٨٠) أمروا : أي أهل الكتاب في التوراة والإنجيل . والمعنى : أنهم أُمروا بإخلاص العبادة للّه وعدم الإشراك به شيئاً من المخلوقات في شيء من العبادات . والرياء والسمعة فيها من شر الآفات، حتى تقلب الطاعة معصية.

على المؤمن أن يزيل الشبهات بالعلم والتعلم، والتعوذ من الشيطان لإبعاده بوساوسه ونزغاته. إلى الاعتقاد الصحيح، ولزيادة الإيمان، ورسوخ اليقين.

(٨١) البينة : ٥. حنفاء: جمع حنيف ، وإقامة الصلاة : تقويمها بالاعتناء بها والمواظبة عليها : وإيتاء الزكاة إخراج حق اللّه المشروع في مال الأغنياء ، ليُعطى للفقراء والمساكين ، وليُصرف في صالح المسلمين .

ويقيموا ويؤتوا : معطوفان على ليعبدوا عطف الخاص على العام .

ودين القيمة : هو على حذف مضاف أي دين الأمة القيمة بمعنى المستقيمة .

(٨٢) الإذعان : الانقياد والخضوع .

(٨٣) جبريل أو جبرائيل اسم ملك كريم من ملائكة اللّه المقربين وهو الواسطة بين اللّه ورسله في تبليغ الوحي ويُدعى أيضاً الروح الأمين .

وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ [٨٤] **إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ** جِبْرِيلُ : صَدَقْتَ [٨٥] » . رواه مسلم وغيره .

١٩- ويجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظاهر دون إيمان [٨٧] في القلب، وهذا لا ينفع صاحبه ، لقوله تعالى :

﴿قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا [٨٨] **وَلَمَّا يَدْخُلِ**

---

(٨٤) تصوم رمضان : تمسك عن المفطرات والشهوات التي بيَّنَهَا الشارع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في شهر رمضان من كل عام .

تحج البيت : تقصد بيت الله الحرام بمكة للنسك والقيام بالشعائر المعروفة لمن استطاع ذلك.

(٨٥) وتمام الحديث حسب ما جاء في صحيح مسلم : (قال عبد الله بن عمر : حدثني أبي عمر ابن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال ؟ رسول الله ﷺ : «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**» . قال : صدقت . قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه !!

قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» ، قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال رسول الله ﷺ : «**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال : فأخبرني عن الساعة ، قال رسول الله ﷺ : «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها قال رسول الله ﷺ : «**أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». (وكل ذلك كناية عن إسناد الأمر لغير أهله) .

قال : ثم انطلق . فلبثت ملياً ثم قال لي رسول الله : «**يا عمر أتدري من السائل**» ، فقلت : الله ورسوله أعلم قال: «**فإنَّهُ جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » ج (١) ص (١٥٦-١٦٠). ورقمه (٨).

[ورواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه] الناشر.

(٨٧) الإيمان: نقيض الكفر وهو التصديق ولا يكون إلا بالقلب وسيأتي بيانه الكامل في المتن لغة وشرعاً.

(٨٨) الأعراب : أهل البدو من العرب واحده أعرابي ، والمراد بهم هنا نفر من بني أسد . =

الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(٨٩).

ولحديث سعد (٩٠):

«أعطى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم رهْطاً (٩١) وَسَعْدٌ جَالِسٌ (٩٢) فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم مِنْهُم من لم يعطه(٩٣) وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ (٩٤)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ

= لم تؤمنوا: يعني الإيمان الحقيقي الذي معناه التصديق التام مع طمأنينة القلب. أسلمنا: دخلنا في الإسلام، والإسلام هنا بمعنى الاستسلام أي قمنا بالأعمال الظاهرة فقط، وكل ما يقوم به الإنسان دون موافقة القلب فهو إسلام، وما وافق القلب فيه اللسان فهو إيمان.

(٨٩) الحجرات: ١٤.

(٩٠) سعد هذا هو ذلك الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة الزهري أبو إسحاق.
أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم في سبيل اللّه، وهو فارس الإسلام، وحارس رسول اللّه ﷺ حيث قال: **«ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة»**، وسابع سبعة في الإسلام، وأحد أهل الشورى الستة، وأحد الستة الذين توفي رسول اللّه ﷺ وهو عنهم راض، وأحد من فداه رسول اللّه ﷺ بأبيه وأمه، وأحد مجابي الدعوة، وأحد الرماة الذين لا يخطئون، دعا له النبي ﷺ **«اللهم سدد رميته وأجب دعوته»**.
وهو الذي تولى قتال فارس وكوّف الكوفة، وكان ممن قعد في الفتنة ولزم بيته، وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام.
مات بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على الرقاب إلى البقيع سنة خمس وخمسين عن (٨٣) أو (٨٢) عاماً رضي اللّه عنه وأرضاه.

(٩١) الرهط: الجماعة من الناس من الثلاثة إلى العشرة ليس فيهم امرأة، لا واحد له من لفظه، وجمعه: أرهط وأرهاط وأراهط وأراهيط، وهذا الرهط من المؤلفة قلوبهم أي من حديثي العهد بالإسلام.

(٩٢) هذا في البلاغة من باب الالتفات من التكلم - الذي هو مقتضى المقام هنا - إلى الغيبة.

(٩٣) يعني رجلاً من المسلمين وهو جعيل بن سراقة الضمري المهاجري.

(٩٤) أعجبهم إليّ: أحسنهم عندي إيماناً.

مؤْمِناً (٩٥) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم : «**أو مُسْلماً**» (٩٦) ؟

فَسَكَتَ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ: يارَسُول اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلانٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللّه عليه وآله سلم : «**أو مُسْلماً**»؟.

فَسَكَتَ قَليلاً ثُمَّ غَلَبَني مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يا رسُولَ اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَ رَاهُ مُؤْمِناً ؟ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم : «**أو مُسْلماً**»؟

إِنِّي لأعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِليَّ مِنْه (٩٧) **خَشْيَة أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**» (٩٨) . رواه مسلم(٩٩) .

---

(٩٥) أراه مؤمناً : أعتقد صدق إيمانه وتصديقه ، وأرى هنا بفتح الهمزة أي أعلمه كذلك ، ولا يجوز ضمها لأن سعداً كان جازماً بصحة إيمان الرجل .

(٩٦) أو مسلماً : لا يُفهم من هذا أن الرجل غير مؤمن بدليل قوله ﷺ من بعد «**وغيره أحب إليّ**» بل المراد منه: النهي عن الجزم بإيمان المرء ما دام محل الإيمان هو القلب ، ولا يطلع على ما في القلوب إلا علام الغيوب ، فالأولى في الحكم بالقطع أن يكون على الظواهر دون السرائر .
فكأن الرسول ﷺ يشير لسعد أن يحكم على ما يظهر له من الرجل فيجزم بإسلامه الظاهر دون إيمانه الخفي الذي لا يعلمه إلا اللّه .

(٩٧) أحب إليّ منه : يعني من جهة الإيمان .

(٩٨) كان رسول اللّه ﷺ يتألف قوماً من المسلمين حديثي عهد بالإسلام بما يعطيهم لضعف إيمانهم خوفاً عليهم من أن يكفروا فيكبوا في النار على وجوههم كما قِيلَ : (وطالما استعبد الإنسان إحسانُ) . أما أقوياء الإيمان فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقد سأل الأنصار النبي ﷺ يوم حنين وهو يعطي القرشيين مما أفاء اللّه عليه فقال: « **إني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم وأصانعهم ، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون برسول اللّه إلى رحالكم ؟**».

(٩٩) برقم (١٥٠) .

بـيان معنى الإيمـان

٢٠ـ الإيمان في اللغة هو التصديق ، لقوله تعالى :

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ (١٠٠) لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٠١).

٢١ـ محلّ الإيمان بمعنى التصديق الجازم هو القلب . لقوله تعالى :

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (١٠٢) .

ولحديث أبي سعيد الخُدْرِيّ (١٠٣) رضي اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم :

«يُدْخِلِ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلِ أَهْلَ النَّارَ النّارِ ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ

---

(١٠٠) بمؤمن لنا : أي مصدق لنا .
(١٠١) يوسف : ١٧ .

(١٠٢) التوبة : ٤٥ . يستأذنك: يطلب منك الإذن في التخلف عن الجهاد .
وارتابت قلوبهم : شكت في الدين أو في الانتصار . ويترددون : يحتارون ويتأرجحون .

(١٠٣) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك الأنصاري ، أحد علماء الصحابة ومكثرهم ، وأحد من بايع تحت الشجرة . أول مشاهده : الخندق . وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة . وكان ممن حفظ عن النبي ﷺ سنناً كثيرة وعلماً جماً . وكان من نجباء الصحابة وفضلائهم . مات سنة أربع وسبعين وله نيف وسبعون سنة .

فَأَخْرِجُوهُ[١٠٤] » رواه مسلم[١٠٥].

٢٢ـ ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشرع مراداً به التصديق الجازم باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر كله خَيْره وشرّه حلوه ومرّه[١٠٦]. لقوله تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [١٠٧] .

والحديث سؤال جبريل عليه السلام ، قال للنبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمانِ ؟ قالَ : «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بَالْقَدَرَ كلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ ومُرِّهِ** [١٠٨]» .

---

(١٠٤) مثقال ذرة من خردل من إيمان : مثقال الشيء وزنه ومقداره والمراد بهذا القدر ، القدر الزائد عن أصل التوحيد كما قيل . والذرة واحدة الذر وهو الهباء المنتشر في الهواء، والمراد بها هنا حبة الخردل لجامع بينهما وهو الصغر في كل .
والخردل: نبات معروف له حب صغير جداً يُشبّه به الشيء المتناهي في الصغر والمقصود من ذرة الخردل التمثيل لا حقيقة الوزن والمقدار ؛ لأن الإيمان شيء معنوي وليس بجسم مادي حتى يوزن أو يُقدّر .

(١٠٥) برقم (١٨٤).

(١٠٦) الملائكة : أرواح لطيفة مخلوقة من النور لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، يؤدون أوامر اللّه ويعبدونه ولا يعصونه .
وكُتُب اللّه : كتب أنزلها على رسله فيها أحكام وقوانين ، وأمرهم بتبليغها لأممهم ، فيها هداية للناس ؛ ومنها : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن .
والرسل : أناس من البشر اختارهم اللّه واصطفاهم لتبليغ شرائعه لعباده .
واليوم الآخر : هو يوم يقوم الناس لرب العالمين فيجازيهم على أعمالهم .
والقدر : ما يقدره اللّه من القضاء في الأزل ويحكم به .

(١٠٧) البقرة : ٢٨٥. لم يذكر اليوم الآخر هنا ولكن ذكر في آخر الآية : **﴿وإليك المصير﴾**.

(١٠٨) رواه مسلم من غير ذكر (حلوه ومره) وقد تقدم الحديث بتمامه في تعليق بيان =

٢٣- ويجيء الإيمان في لسان الشرع أيضاً مراداً به الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين . حديث وفد عبد القيس (١٠٩) ، قال ابن عباس (١١٠) رضي الله عنهما :

أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالإيمان بالله وحده وقال ﷺ : «**هل تدرون ما الإيمان؟**». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لا إلهَ إلا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ وَإِيتاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُؤَدوا خُمُساً مِنَ المغْنَم** » (١١١) رواه البخاري ومسلم .

٢٤- قد توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان على اعتقاد القلب الجازم ،

= معنى الإسلام في ، حاشية درس رقم ١٨.

(١٠٩) وفد عبد القيس . الوفد : الجماعة المختارة من الأمة ترسل في مهمة إلى الملوك والأمراء والقادة والرؤساء، واحدهم وافد .

ووفد عبد القيس هؤلاء تقدموا قبائل عبد القيس مهاجرة إلى رسول الله ﷺ عام الفتح وقبل خروج النبي ﷺ إلى مكة . وكانوا أربعة عشر راكباً رئيسهم المنذر بن عائذ بن الحارث وهو الأشج العَصَري ، سماه رسول الله ﷺ الأشج لشجة كانت في وجهه . والنسبة إلى قبيلة عبد القيس كالنسبة إلى قبيلة عبد شمس : عبقسي وعبشمي وهما من الأسماء التي خالفت قواعد النسبة .

(١١٠) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ، أبوه العباس عم رسول الله ﷺ ، وابن عباس هذا هو ترجمان القرآن كان يقال له حبر وبحر . رأى جبريل مرتين ، ودعا له النبي ﷺ بالحكمة مرتين، روى عنه : ابنه علي وأنس وأبو أمامة بن سهل وأبو الشعثاء وأبو العالية وسعيد بن المسيب وعطاء وطاووس ومجاهد وخلق ، مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين سنة .

(١١١) خ (٥٣) ، م (١٧)، وغيرهما لم يذكر الحج لأنه لما يُفرض إذ ذاك .

والمغنم : الغنيمة وهو ما يؤخذ من المحاربين عنوة ، أو هو المكسب عموماً ، والخمس بضم الميم وإسكانها وكذلك الثلث والربع إلى العشر قال تعالى : ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه**﴾.

والأعمال الظاهرة من قول وغيره ، المبنية على ذلك الاعتقاد ، لحديث جبريل المتقدم في تفسير الإسلام (١١٢)، وحديث وفد عبد القيس المتقدم في تفسير الإيمان(١١٣) .

تحصيل مِمّا تقدم

توارد الإسلام والإيمان على الاعتقاد والنطق والعمل :

٢٥ـ الدين كله عقْدٌ بالقلب (١١٤)، ونُطق باللسان ، وعمل بالجوارح (١١٥) الظاهرة والباطنة (١١٦) .

وكل واحد من الثلاثة يسمى إيماناً باعتبار ، ويسمى إسلاماً باعتبار آخر .

١ـ فعقد القلب يسمى إيماناً لأنه تصديق ، ويسمى إسلاماً لأن عَقْد القلب على الشيء إذعان وخضوع له .

٢ـ ونطق اللسان بالشهادتين يُسمّى إيماناً لأنه دليل على التصديق ، ويسمى إسلاماً لأنه دليل على الخضوع والانقياد .

---

(١١٢) حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة المبنية على التصديق واليقين فقال :
«الإسلام هو أن تشهدأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

(١١٣) حيث فسر الإيمان كذلك بالشهادة والصلاة والزكاة والصوم وهكذا فسر النبي ﷺ الإسلام والإيمان بالاعتقاد الجازم والأعمال الظاهرة المبنية عليه .

(١١٤) عقد القلب اعتقاده وتصديقه وتدينه .

(١١٥) الجوارح من الإنسان : الأعضاء كاليد ونحوها التي يجترح بها الحسنات أو السيئات ، واجترح بمعنى : اكتسب أو ارتكب .

(١١٦) الجوارح الباطنة : هي القلب فقط ، وغلب الجمع إما للمشاكلة أو لأنه المتصرف في الجوارح كلها .

٣ـ والزكاة مثلاً تُسمّى إيماناً لأنها مبنية على التصديق . وثمرة من ثمراته ، وتسمى إسلاماً لأنها انقياد وإذعان .

٤ـ والحب في اللّه مثلاً يسمى إيماناً لأنه مبني على التصديق وثمرة من ثمراته ، ويسمّى إسلاماً لأنه انقياد وإذعان (١١٧) .

٢٦ ـ الإيمان في الوضع الشرعي(١١٨) هو قول باللسان وعمل(*) بالقلب وعمل بالجوارح. فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان. ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان. لقوله تعالى: ﴿إنّما المؤمنونَ الذين إذا ذُكرَ اللّهُ وجِلتْ قلوبُهُمْ﴾(١١٩) .

﴿ إنَّمَا المؤْمِنُونَ الذينَ آمَنُوا باللّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يرتابوا (١٢٠) وَجَاهَدُوا بِأمْوالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٢١) .

ولقوله صلى اللّه عليه وسلم :

« لاَ يُؤمِنُ أحَدُكُمْ (١٢٢) حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (١٢٣) » رواه

---

(١١٧) ويقول ابن العربي : إن معنى الإسلام والإيمان واحد . لأن أسمه معناه : طلب السلام ، وآمن معناه : طلب الأمان ، فالمعنى فيهما واحد . قال ذلك في شرحه على صحيح الترمذي (مناقب عمرو بن العاص) .

(*) بالأصل عمل بالقلب والأصح قوله تصديق بالقلب . الناشر .

(١١٨) الوضع الشرعي : الاصطلاح الديني .

(١١٩) الأنفال : آية ٢، وجلت : خافت .

(١٢٠) لم يرتابوا : لم يشكوا في أمردينهم .

(١٢١) الحجرات : ١٥.

(١٢٢) يعني الإيمان التام لأن أصل الإيمان يثبت بما سوى ذلك من لم يكن متصفاً بهذا الوصف .

(١٢٣) المراد بالأخوة أخوة الدين ، قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخْوَةٌ﴾ ومفهومه أن من الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه .

الشيخان (١٢٤) عن أنس (١٢٥) .

ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** (١٢٦)». رواه الشيخان عن أنس، ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « **الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**(١٢٧)، **فَأَفْضَلُها قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ**(١٢٨) **شُعْبَةٌ مِنْ**

---

(١٢٤) خ برقم (١٣) وم (٤٥) والشيخان : هما الإمامان البخاري ومسلم رحمهما اللّه ، وهما اللذان اتفقت كلمة العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز كتاباهما : صحيح البخاري وصحيح مسلم اللذان تلقاهما المسلمون بالرضا والقبول .

(١٢٥) أنس : هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حزام الأنصاري النجاري أبو حمزة خادم رسول اللّه ﷺ روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، وروى عنه أولاده وحفيداه وخلائق لا يحصون، خدم رسول اللّه ﷺ عشر سنين ودعا له النبي فقال : « **اللهم أكثر ماله وولده ، وأدخله الجنة** ». مات سنة ثلاثة وتسعين . وهو آخر من مات من الصحابة رضي اللّه عنهم أجمعين . [الحديث متفق عليه بدون وأدخله الجنة] الناشر .

(١٢٦) خ (١٥)، م (٤٤) والمعنى: لا يكمل إيمان المسلم إلا بحب النبي حباً اختيارياً لا حباً فطرياً حيث يؤثره المسلم على والده وولده وأمه وأمته ويقدمه على هواه وإن كان فيه هلاكه .
وحبه ﷺ يظهر في نصرة دينه وإحياء سنته والغيرة على ما يمس بكرامة شريعته فيضحي من أجل ذلك بالنفس والنفيس : ومن لم يكن كذلك فليس بمؤمن حقيقة ، وروى مسلم الحديث بتقديم الولد على الوالد .

(١٢٧) البَضع والبِضع بكسر الباء وفتحها : ما بين العقود من الثلاث إلى التسع ، يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر فتقول : بضع وعشرون شاة وبضعة وعشرون حصاناً .
والشعبة من الشجرة : الغصن المتفرع منها جمع شعب كغرفة وغرف . وهي من الشيء : الطائفة أو الناحية منه . وتقول : (هذه المسألة كثيرة الشعب والانشعاب) أي التفاريع . ولما كانت الشعبة هي الغصن في الأصل شبه الإيمان بشجرة ذات أغصان تؤتي أكلها كما شبه الإسلام بخيمة ذات عمد تقي من الحر والقر . في خبر : «**بُني الإسلام على خمس . ..**»

(١٢٨) الإماطة : الإزالة والإبعاد ، والأذى والأذية : الضر اليسير أو كل ما يؤذي من حجر أو مدر أو شوك أو نجاسة أو غير ذلك .
والحياء بالمد والقصر : الانقباض والانزواء من الشيء المستقبح خوفاً من اللّه أو من غيره وهو =

ألإيمان»(١٢٩) رواه الشيخان رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٧ـ الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها (١٣٠) .

لقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَاناً﴾ (١٣١) .

ولقوله تعالى :

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٣٢) ﴾ .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ** (١٣٣)**، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** (١٣٤)**»**

= خلق حسن أو تخلق يُكتسب بالمران والتعود كما يتعود الإنسان على الخير والتقوى حتى يتخلق بهما. وأبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر حافظ الصحابة . ومن أحفظ من روى الحديث في وقته ، تقدمت ترجمته والشيخان هما البخاري ومسلم .

(١٢٩) خ (٩)، م (٣٥) .

(١٣٠) المراد بالأعمال أعمال الخير ، يعني أن الإيمان يزيد بالطاعة مثلاً كما ينقص بالمعصية .

(١٣١) الأنفال (٢) . تُليت : قُرئت ، متى فهموها وعملوا بها .

(١٣٢) آل عمران (١٧٣)، والمعنى: كذلك ينبغي أن يكون المؤمن مهما يُخوّف إلا ويزداد قوة وشجاعة وثباتاً وإيماناً، ويقدم ولا يحجم ويقول حسبي الله ونعم الوكيل .

(١٣٣) هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تطابق على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة .فهو واجب على كل مسلم ومسلمة ، لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل . وتقديم اليد على اللسان والقلب شرطاً دائماً وأبداً ـ والعاقل الحكيم يتصرف في هذا التغيير وترتيبه بما تقتضيه المصلحة .

(١٣٤) في رواية مسلم قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال : قد ترك ما هناك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من رأى منكم منكراً فليغيره»** الحديث . =

رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه تعالى عنه (١٣٥).

٢٨ـ التصديق الذي هو الجزء الأصلي في الإيمان يقوى ويضعف(١٣٦): يقوى بالنظر في الآيات الكونية(١٣٧)، والتدبر في الآيات السمعية (١٣٨)، والتقرب بالعبادات الشرعية، ويضعف بضدّ ذلك.

لقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لِيَطْمَئِن قلبي** (١٣٩)﴾، ولقوله تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ** (١٤٠) **السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾(١٤١).

ولحديث أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً**

= وقال النووي: جاء في الحديث الذي اتفق عليه البخاري ومسلم رضي اللّه عنهما على إخراجه في باب صلاة العيد: أن أبا سعيد هو الذي جذب بيده مروان حين رآه يصعد المنبر وكانا جاءا معاً فرد عليه مروان بمثل ما رد هنا على الرجل، فيحتمل أنهما قضيتان إحداهما لأبي سعيد والأخرى للرجل بحضرة أبي سعيد واللّه أعلم.

(١٣٥) تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري في الدرس رقم ٢١ بالحاشية. والحديث لم يروه البخاري وإنما رواه مسلم (٤٩) وأبو داود (١١٤٠) وغيرهما.

(١٣٦) فالتصديق كالبذرة والإيمان كالشجرة.

(١٣٧) الآيات الكونية هي: العلامات والمعجزات الموجودة في الكون من سموات وأرضين ومن بحار وأنهار وجبال وأشجار، وحيوان وإنسان، وغيرها من مخلوقات اللّه البديعة الصنع.

(١٣٨) الآيات السمعية هي: الحجج والبراهين القطعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

(١٣٩) البقرة (٢٦٠)، ومعنى: ليطمئن قلبي أي ليسكن ويهدأ، والضمير لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام قال: ﴿**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ ومحل الشهادة هو النظر لتقوية الإيمان. وسيدنا إبراهيم مؤمن ومصدق بإحياء اللّه الموتى ولكن أراد أن يشهد ذلك بعينيه، لأن النظر أقوى وأصدق برهاناً من السمع، ومن سمع شيئاً ويمكنه أن يراه لا شك أن يبقى متشوقاً لرؤيته، فإذا شاهده بعينيه اطمأن له قلبه وآمن به، فلا يطلب بعد ذلك البيان بياناً (وما راءٍ كمن سمعا)

(١٤٠) الملكوت: الملك والعز والسلطان. (١٤١) الأنعام: ٧٥.

مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَاكَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلى الْجَنَّةِ وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهم الملائكةُ[142] ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ[143] رواه مسلم[144] .

ولحديث حنظلة[145] الأسيِّديِّ رضي اللّه تعالى عنه - وكان من كُتّاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال : « لَقِيَنِي أبو بكرٍ[146] فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ ياحنْظَلَةُ ؟ قالَ : قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ ! قَالَ : سُبْحَانَ اللّه ما تَقُولُ ؟!

---

(١٤٢) نفّس عنه الكربة : خفّفها ولطفها أو فرجها عنه . والكربة : الحزن والمشقة ، وجمعها كرب كغرفة وغرف ، ومثلها الكَرْبُ جمع كُروب كفلس وفلوس . وأصل التنفيس : فك الخناق ليأخذ المخنوق نفسه ، ومن الهموم والكروب ما يضيق على الإنسان مجاري التنفس ، والسكينة : الطمأنينة والوقار . وغشيتهم بمعنى غطتهم وأحاطت بهم . وحفتهم : أحدقت بهم واستدارت .

(١٤٣) الذين هم عند اللّه : هم ملائكته الكرام المقربون وعندية هنا للتشريف ، أذكر أن أستاذنا ابن باديس رحمه اللّه قال لنا في آخر هذا الحديث (**من أبطا به عمله الخ)** : هذه حكمة بالغة ينبغي أن تكتب فوق القطر الجزائري بحروف كبيرة في كل مكان ليراها كل جزائري فيعمل بها ويدع التواكل ، لأن شرف الإنسان بعمله لا بنسبه أو بحسبه . وأبْطَأَ فعل من البُطء ضد الإسراع أي من أخَّره عمله لم يلحقه شرف نسبه .

(١٤٤) برقم (٢٦٩٩) .

(١٤٥) حنظلة الأسيدي : صحابي جليل من كتّاب الوحي فيه تقوى وخشية وورع .

(١٤٦) أبو بكر : هو الخليفة الأول والصحابي الجليل ، والصديق رفيق رسول اللّه ﷺ في الهجرة وفي مراحل حياته النبوية ، وأول من أسلم من الشيوخ . وأحد المبشرين بالجنة، ومناقبه أجل وأعظم من أن تحصر ، وهو أبو عبد اللّه بن أبي قحافة . رضي اللّه عنه وأرضاه .

قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ (١٤٧) فَنسينَا كَثِيراً .

قَالَ أَبو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا!

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم، قُلْتُ : نافق حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم : **«وَمَا ذاكَ ؟»** قُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّه: نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فإذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأزوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالْضيعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيراً .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِن لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُون عِنْدِي وفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ**(١٤٨)**، ولكِنْ يا حنْظلَةُ : سَاعَةً وَسَاعَةً ، سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً**(١٤٩) » رواه مسلم(١٥٠) .

---

(١٤٧) كيف أنت : أي قال له ذلك بعد تحية الإسلام المعروفة . نافق : يعني ستر كفره في قلبه، وأظهر الإيمان بلسانه ، والمنافق ذو الوجهين ، وهو غير وجيه عند اللّه والناس .

ورأي عين : مثلما يراه الإنسان بعينيه . ويقال : هو مني بمرأى ومسمع : أي بحيث أسمعه وأراه.

وعافسنا : عالجنا وخالطنا واشتغلنا . والضيعات : الحرف والصناعات . يقال : كانت ضيعة العرب سياسية الإبل .

(١٤٨) لما عليه المؤمن من الصلاح والطهر والشفافية بالتقوى والإيمان والعمل الصالح .

(١٤٩) ساعة وساعة : يريد الرسول ﷺ أن يؤكد أن الإسلام يتمشى مع النفسْ البشرية وطبيعتها ، فهو لم يطلب من البشر أن يكونوا ملائكة ، ولا يريد لهم أن ينحطوا حتى يكونوا كالسائمة . وإنما يريد بشرية فاضلة ، وإنسانية رشيدة ، وقد كان النبي ﷺ يستمتع بطيبات الدنيا في حق واعتدال ، ويمزح ولا يقول إلا حقاً . فساعة للعمل ، وساعة للعبادة وساعة للراحة، وساعة للدنيا، وهذا من مميزات الإسلام بين الأديان .

(١٥٠) برقم (٢٧٥٠) .

٢٩ ـ مَن عُدم من إيمانه اليقين خرج من دائرة المؤمنين [١٥١] ، وكان من جملة الكافرين ، ولو نطق بالشهادتين ، وعمل عمل المؤمنين . لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾[١٥٢] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[١٥٣] . وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ[١٥٤] وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ .

٣٠ ـ مَن عُدم منه النطق إباية وعناداً [١٥٥] لم يكن من المؤمنين، وكان من الكافرين.

لقوله تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[١٥٦] .

---

(١٥١) لأن اليقين شرط في الإيمان .

(١٥٢) النساء : ١٣٦، والمعنى ضلّ عن الدين وعن الطريق ، بمعنى حاد وتاه بعيداً .

(١٥٣) النساء : ١٥٠ ـ ١٥١ .

(١٥٤) نشهد : أي نعلن بأن اعتقادنا موافق لكلامنا ، وهذا كذب منهم صريح لأنهم ـ لعنهم الله ـ لا يعتقدون صدق رسول الله ﷺ والشهادة تستدعي موافقة عقد القلب لما ينطق به اللسان وإذا كانت الشهادة هنا بمعنى اليمين ، فهم حانثون قطعاً لأنهم لا يصدقون برسالته ولا يعتقدون صدقه ﷺ ، وإنما حملهم على ذلك كله حماية أنفسهم وأموالهم من رسول الله وأصحابه . وهو معنى قوله تعالى من بعد : ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ أي وقاية ولما نزلت هذه السورة فضحتهم شر فضيحة ، وباؤوا بغضب من الله ورسوله والمؤمنين . وحُقّ لهذه السورة أن تُدعى الفاضحة أيضاً .

(١٥٥) إباية: عدم رضى وامتناعاً ـ والعناد: المكابرة والمعارضة بالضد بدون حق .

(١٥٦) النمل : ١٤. ظلماً وعلواً : تجاوزاً وعلواً في الكفر والعناد . والضمير في بها لآيات الله التي جاءتهم مبصرة فجحدوا بها .

٣١ـ من لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الإسلام لم تفده تلك المعرفة ، ولم يكن بها من المسلمين [١٥٧] .

لقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** [١٥٨] **وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [١٥٩] .

٣٢ـ من ضيَّع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان .

لقوله تعالى : ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ [١٦٠].

ولحديث أبي بكرة رضي اللَّه تعالى عنه ، قال : سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلم يَقُولُ : «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّار**» فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ . فَمَا بَالُ المقْتُولِ ؟ قَالَ : «**إِنَّهُ كانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صاحِبِهِ**» [١٦١] . رواه مسلم .

٣٣ـ من ارتكب المعاصي سُمِّي فاسقاً [١٦٢] حتى يتوب .

---

(١٥٧) لأن المعرفة دون الإذعان القلبي والخضوع لا تفيد شيئاً .

(١٥٨) الذين آتاهم اللَّه الكتاب مبيناً قبلنا : هم اليهود والنصارى ، وهم يعرفون النبي محمداً ﷺ غاية المعرفة لأنه موصوف في كتبهم .

(١٥٩) البقرة : ١٤٦ . (١٦٠) الحجرات : ٩ .

(١٦١) م (٢٨٨٨) فالمقتول يستحق النار لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه . وما بال: ما حال وما شأن أو ما ذنب ؟ ما أكثر التقاتل بين المسلمين وما أقل المصلحين فاللهم لطفك .
وأبو بكرة هو نُفَيْع (بالتصغير) بن الحارث بن كَلَدَةَ (بفتح الكاف واللام والدال) الثقفي ، كُني بأبي بَكْرة لأنه كان أسلم في حصن بالطائف وعجز عن الخروج منه . فَتَدَلَّى في النزول إلى رسول اللَّه ﷺ منه ببكْرة ، روي له عن رسول اللَّه ١٣٣ حديثاً ، وكان ممن اعتزل يوم الجمل عن الفريقين . توفي بالبصرة سنة إحدى وخمسين من الهجرة ، رضي اللَّه عنه وأرضاه . [الحديث رواه البخاري (٣١) أيضاً وغيره] الناشر .

(١٦٢) أي مؤمناً عاصياً ، والفسق في اللغة هو الخروج ، فالفاسق هو الخارج عن الطاعة وعن الدين . حتى يتوب : أي يرجع بلسانه ، ويقلع بجنانه ، ويتلطف في التحلل من المظالم ، ويعزم على عدم العودة إلى الذنب .

لقوله تعالى : ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ﴾[163] ، ولقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ[164] ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[165] .

* * *

---

(١٦٣) الحجرات : ١١.

(١٦٤) المحصنات : المتزوجات العفيفات عن المعاصي . وكذا الرجال والأزواج لا فرق بين الأمرين . والمراد بالرمي : الرمي بالزنا بدليل السياق .

(١٦٥) النور : ٤ ـ ٥ .

بيان معنى الإحسان

٣٤ ـ الإحسان في اللغة : الإتيان بما هو حسن ، والإحسان في الشرع : هو الإتيان بالحسنات. والحسنات : هي فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات ، وفعل أو ترك المباحات لأنها مباحات[١٦٦] ، مع التصديق بذلك للَّه تعالى والإخلاص له فيه ، ومع استحضار رؤية اللَّه تعالى له واطلاعه على ظاهره وباطنه .

لقوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ [١٦٧] ، وقوله تعالى ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [١٦٨] . وقوله تعالى :

---

(١٦٦) الأحكام التكليفية الخمسة هي :

الواجب والفرض وهو طلب الفعل على سبيل التحتيم .

والمستحب أو المندوب هو طلب الفعل على سبيل الترجيح .

والحرام أو الحظر هو طلب الترك على سبيل التحتيم .

والمكروه هو طلب الترك على سبيل الترجيح .

والمباح هو الإذن في الفعل والترك بلا إثم فيهما ولا ثواب .

(١٦٧) الكهف : ١١٠.   (١٦٨) البقرة : ١١٢.

﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (١٦٩).

ولقوله عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل عليه السلام ، لما فسّر له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الإحسان ، قال : «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١٧٠) رواه البخاري ومسلم .

* * *

(١٦٩) يوسف : ٩٠ .

(١٧٠) هذا من جوامع الكلم التي خُصّ بها رسول اللّه ﷺ وقد تقدم الحديث بتمامه في حاشية رقم (١٨) وحقيقة ، فلو قدرنا أن أحدنا قام في عبادته وهو يعاين اللّه عز وجل لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به ، وهذا هو إحسان العبادة .

عقائد الإيمان

عقيـــدة الإيمـــان بالله :

٣٥ـ هو الموجود الحق لذاته ، الذي لا يقبل وجوده العدم ، فهو القديم الذي لابداية لوجوده ، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده .

لقوله تعالى :﴿ **أفي الله شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ**﴾(١٧١)؟

ولقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ** (١٧٢) **تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ**

---

(١٧١) إبراهيم : ١٠. والمعنى : أنه لا ينبغي أن يُشك في وجود اللّه ، فإنه خلق كل شيء ، وأظهره وبينه، فمن شك في وجوده تعالى ، فلا ثقة عنده حتى في الأمور المحسوسة . وفاطر السموات والأرض خالقهما ومبدعهما لا على مثال سابق .

(١٧٢) بغير عمد : بغير أعمدة وأساطين ترفعها ، وهذا من بالغ القدرة الإلهية .

والاستواء : استواء يليق بكماله وجلاله ، وليس كاستواء الخلق الذي معناه التمكن .

والعرش : مخلوق عظيم للّه تعالى وهو أعلى المخلوقات وأولها ، وهو سرير الملك : قال تعالى : ﴿**أهكذا عرشك** ﴾ ؟ ، ﴿**ورفع أبويه على العرش** ﴾ .

والرواسي : الجبال الثوابت الشوامخ الرواسخ . وثم لعطف الجُمَل لا غير ، وليست للترتيب .

وَجنَّاتٌ مِنْ أعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلَى بَعْضٍ فِي ألأُكُلِ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(١٧٣)﴾، ولقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى(١٧٤)﴾، ولقوله تعالى: ﴿الحمْدُ للَّه رَبِّ العالمِينَ﴾ (١٧٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوات والأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمسَيْطِرونَ(١٧٦) ﴾؟ وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ألأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١٧٧).

٣٦ ـ وهو الموجود الذي سبق وجودُه كلَّ وجود. فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته.

لقوله تعالى: ﴿ هُو ألأَوَّلُ ﴾، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما﴾(١٧٨)،

---

(١٧٣) الرعد: ٢ ـ ٤، زوجين اثنين: صنفين اثنين كالأبيض والأسود. والحلو والمر، والذكورة والأنوثة. الخ

وصنوان: نابتة من أصل واحد، وغير صنوان: خارجة من أصول مختلفة. ومع تجاور الأرض، واتحاد المنبت والوقت، والسقي بماء واحد... اختلفت الثمر والأزهار والخضار والحبوب في طعمها وحجمها ولونها وشكلها، فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

ويغشي الليل النهار: يجعل الليل لباساً للنهار. والأكل بضم الهمزة: اسم لما يؤكل، وبفتحها: مصدر أكل يأكلها.

(١٧٤) طه: ٥٠، خلقه سواه وجمّله، وهداه إلى ما فيه المصلحة. والرب: هو اللّه الخالق المربي للمخلوقات جميعها.

(١٧٥) الفاتحة: ٢.

(١٧٦) الطور: ٣٥ ـ ٣٧، المسيطرون: الغالبون ـ والمعنى أم هم الغالبون على الأشياء يديرونها على حسب أهوائهم؟ والجواب: لا.

(١٧٧) الحديد: ٣.

(١٧٨) الفرقان: ٥٩.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقدَّرهُ تقديراً﴾(١٧٩) ﴿خلق السموات والأرض في ستّة أيام(١٨٠) ثم اسْتَوَى عَلى العَرْش﴾(١٨١)، ﴿قُلْ أئنّكُمْ لَتكفُرُونَ بالَّذي خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أنْدَاداً ذلكَ رَبُّ العَالمينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَواسيَ مِنْ فَوْقِها وبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فِيها أقواتَها فِي أرْبَعةِ أيَّامٍ سَواءً للسَّائلينَ * ثُمَّ استَوى إلى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَللأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قَالَتَا أتَيْنا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أمْرَهَا(١٨٢) وَزَيَّنّا السماءَ الدُّنَيا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً(١٨٣) ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم﴾(١٨٤).

---

(١٧٩) الفرقان: ٢.

(١٨٠) ستة أيام ليست الأيام كأيامنا . بل علمها عند ربي .　　(١٨١) الحديد : ٤.

(١٨٢) الند هو الشبيه أو النظير ، فقال تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾. وقال لبيد:

الحمد للّه فلا ندَّ له　　بيديه الخير ما شاء فعل.

والرواسي : الجبال الثوابت . وبارك فيها : زاد في خيراتها التي منها الحيوانات والنباتات والمعادن. أقواتها : أرزاق أهلها .

واستوى : عمد وقصد ، ودخان : قيل إنه أصل مادة الأرض . وقال علماء الطبيعة اليوم : إن مادة السماء كالدخان ، وغاية ما وصلوا إليه بظنهم إذن ، هو ما جاء به النبي الأمي الذي كفر به المعاندون الجاحدون . ائتيا طوعاً أو كرهاً أي شئتما أو أبيتما : وهذا تمثيل لإطاعة السموات والأرض مع عظم جرمهما ، وابن آدم يعصي على ضعفه !!

فقضاهن : أي خلقهن وأتقنهن في يومين فتم بذلك خلق السموات والأرض في ستة أيام: يومين لخلق الأرض ، ويومين لجعل الرواسي وتقدير الأرواح والأقوات ، ويومين للسموات السبع، وليست الأيام كالتي نعرف، فعلمها عند اللّه: ونحن نعلم اليوم أن كل كوكب بحسبه.

قالتا أتينا طائعين : يحتمل لسان الحال والمقال .　　وأوحى : كوّن ودبر .

(١٨٣) المصابيح : الكواكب والنجوم التي تضيء ليلاً وترشد السائرين .. وهي تحفظ وحي اللّه من استراق الشياطين للسمع، وإبلاغه الكهان كما كان سائراً قبل مبعث الرسول ﷺ، فمُنعت الشياطين من استراق السمع : ﴿**إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ وهذا مما حبا اللّه به نبينا . فحفظاً مفعول مطلق: أي وحفظناها حفظاً .　　(١٨٤) فُصِّلت: ٩ ـ ١٢.

٣٧ ـ فهو الغنيّ بذاته عن جميع الموجودات(١٨٥) وهي المفتقرة كلها ابتداء ودواماً إليه.

لقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أنتُمُ الْفُقَرَاء إلَى اللَه وَاللَّهُ هُوَ الْغَنيُّ الْحَميدُ* إنْ يَشَأ يُذْهبْكُمْ وَيَأت بخَلْق جَديد * وَمَاذَلكَ عَلَى اللَّه بعَزيز ﴾(١٨٦)، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلكُ منَ اللَّه شَيْئاً إنْ أرَادَ أنْ يُهْلكَ المسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ في ألأرْض جَميعاً ؟﴾ (١٨٧) ، ﴿قُل مَنْ يَرْزُقُكُمْ منَ السَّمَاء وَالأرْض أمْ مَنْ يَمْلكُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَمَنْ يُخْرجُ الْحَيَّ منَ المَيِّت وَيُخْرجُ الميِّتَ منَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أفلاَ تَتَّقُونَ فَذَلكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقّ فَماذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلال فَأنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (١٨٨) . ﴿أغَيْرَ اللَّه أتَّخذُ وَليّاً فَاطر السَّمَوَات وَالأرْض وَهُوَ يُطْعمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾(١٨٩).

---

(١٨٥) أي أن كماله سبحانه وغناه من ذاته لا من غيره .

(١٨٦) فاطر : ١٥ـ ١٧ .

(١٨٧) المائدة : ١٧. وهذا رد على الذين قالوا: إن اللّه هو المسيح بن مريم .

(١٨٨) يونس: ٣١، يخرج الحي من الميت: كخروج الإنسان من النطفة، والدجاجة من البيضة ويخرج الميت من الحي عكس ذلك كخروج البيضة من الدجاجة والنطفة من الإنسان وغير ذلك .
وأنىّ تصرفون : كيف تتوجهون من الحق إلى الضلال ؟ .

(١٨٩) الأنعام : ١٤.

(١٩٠) روينا البيتين عن أستاذنا الإمام وقت الدرس ولا ندريهما لمن ؟ وهما :

فنحن معشر فريق السنة السالكين في طريق الجنة

نقول بالإثبات والتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه

وزاد عليهما معلقاً فقال : **المعطلون** : هم الذين ينفون الصفات الإلهية، و**المشبهون:** هم الذين يشبهونها بصفات المخلوقات وكلاهما على ضلال، أما **السنيون** : فهم الذين يثبتونها له تعالى ، وينزهونها عن التشبيه بالمخلوقات. **والتعطيل:** تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي أو الخروج=

عقيدة الإثبات والتنزيه : [190] .

٣٨ـ نثبت له ما أثبته لنفسه ، على لسان رسوله ، من ذاته ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله . وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه ، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته.

ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما ، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف [191]، وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد .

لقوله تعالى : ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [192]، ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[193].

ولحديث أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم عَشَرَةً مِنْهُمْ : خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ(*)، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوه قَالَ:

= به إلى معنى آخر . والتشبيه تشبيه اللّه بمخلوقاته ؛ فنحن نثبت للّه ما أثبته اللّه لنفسه من أقوال أو أفعال أو صفات ، ولا نشبّهه في شيء من ذلك بالمخلوقات، ولا غرابة في إثبات شيء مع عدم تكييفه ، فالإنسان يثبت أن بين جنبيه نفساً ولكن لا يستطيع تكييفها كذلك نثبت صفات اللّه بلا كيف.

ملحوظة: قوله : (ونثبت الاستواء والنزول إلى قوله غير مراد) كان في الأصل بعد صفة الكلام رقم (٤٦) ومن غير استشهاد عليه بالآيات والأحاديث فرأيت إثباته هنا تحت هذا العنوان ؛ ثم تأتي بقية الصفات كما رتبها الأستاذ الإمام مستدلاً عليها بالآيات والأحاديث. وأرجو ألا يكون هذا من التحكم وسوء التصرف .

(١٩١) بلا كيف : أي بلا هيئة محدودة لأنه تعالى ليس كمثله شيء فنثبت الاستواء الوارد في قوله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ ، والنزول في حديث : «**إن اللّه ينزل إلى سماء الدنيا آخر الليل ويقول : هل من سائل فاجيب له** » [الحديث متفق عليه بلفظ من يدعوني فأستجيب له البخاري (١١٤٥) مسلم (٧٥٨)] والمجيء ونحوه مثل : ﴿**وجاء ربك**﴾ ،﴿**ولتصنع على عيني**﴾ ، ﴿**وكلم اللّه موسى تكليماً**﴾ إلخ ..

(١٩٢) آل عمران :٢٨ . ويحذركم اللّه نفسه : أي ذاته فخافوه واخشوه ، بل قدموا خشيته على خشية الناس فهو الآخذ بالنواصي ، والمجازي يوم القيامة .

(١٩٣) المائدة: ١١٦ . (*) أي ثم غدر بهم المشركون من بني لحيان وأسلموهم إلى قريش (الناشر)

وَلَسْـتُ أُبَالِـي حِـينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّه مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَـزَّعِ (١٩٤)

فَلَمَّا قُتِلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أخبرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يوم أُصيبوا (١٩٥) . رواه البخاري(١٩٦).

ولقوله تعالى : ﴿ **قُل ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمنَ أيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى**﴾(١٩٧) ، ﴿ **وَلِلَّهِ الأسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بها**﴾(١٩٨)، ﴿**الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى * والَّذي قَدَّر فَهَدى * وَالَّذي أخْرَجَ المَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أحْوَى**﴾(١٩٩) ، ﴿**فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ**﴾(٢٠٠)، ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا**

---

(١٩٤) أوصال شلو ممزع : أجزاء جسد مقطع ، والأوصال جمع وصل ، كل عضو على حدة . والشلو والشلاء هو الجسد من كلّ شيء . والممزع المفرق الموزع
رُوي أن خبيباً قبل أن ينشد هذين البيتين طلب منهم أن يدعوه يصلي فتركوه ، فصلى ركعتين ثم قال : اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تُبق منهم أحداً . ثم قال البيتين رضي الله عنه ، وهو أول من سنّ هذه الصلاة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .
وخبيب الأنصاري (رضي الله عنه) هو خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي شهد بدراً ، واستشهد في هذه الحادثة التي وقعت له في غزوة الرجيع . في صفر سنة أربع للهجرة والرجيع : اسم موضع من بلاد هذيل بين عسفان ومكة . فرجعوا به إليه ليبعدوا عن الحرم ويقتلوه في الحل .

(١٩٥) ومحل الشاهد من هذا هو قوله : في ذات الإله . (١٩٦) برقم (٤٠٨٦).

(١٩٧) الإسراء: ١١٠. الأسماء الحسنى : الصفات الكريمة . وأي اسم من أسمائه الحسنى حسن فلا يُنهى عن الدعاء بأيها .

(١٩٨) الأعراف : ١٨٠ .

(١٩٩) الأعلى: ٢ ـ ٥ . الغثاء : ما يلقيه السيل من القش والورق والعشب واليابس الميت . والأحوى : الأسود ، والحوة سواد في خضرة أو في حمرة أو في أي لون داكن . ومعنى الغثاء الأحوى الشيء التافه لا وزن له ولا قيمة ، فاسودَّ من قِدَمِه وإهماله واحتراقه .

(٢٠٠) البروج : ١٦ .

يَمْـلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ[٢٠١] إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢٠٢]، ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ[٢٠٣] بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢٠٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢٠٥].

٣٩ـ ولا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه .

لقوله تعالى : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بِما شَاءَ﴾[٢٠٦].

ولقوله صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم : «**لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» [٢٠٧]، ولقوله صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم في دعاء الكرب[٢٠٨] : «**اللَّـهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابن عبدك وابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ**

(٢٠١) لا تمثلوه بالسلطان ونحوه فليس كمثله شيء .

(٢٠٢) النمل : ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢٠٣) الضمير في يأمركم للشيطان . والسوء : الشر والفساد الذي يسوء صاحبه ويشمل جميع المعاصي . والفحش ما تناهى قبحه من الذنوب والآثام كالفسق والسكر وأنواع الموبقات والتقوّل على اللّه بغير علم : كالكذب على اللّه ، والتكلم في شرعه ووصفه بما لم يرد في كتابه أو على لسان نبيه . وهكذا يتدرج الشيطان مع الإنسان من الأدنى كالسوء والفحشاء إلى الأعلى كالكفر والكذب على اللّه وهو أدهى وأمر .

(٢٠٤) البقرة : ١٦٩.

(٢٠٥) الشورى : ١١ .

(٢٠٦) البقرة : ٢٥٥ .

(٢٠٧) مسلم (٤٨٦) وغيره عن عائشة ـ رضي اللّه عنهما .

(٢٠٨) الكرب الحزن والمشقة والهم. الناصية : شعر مقدم الرأس . ماض : نافذ . استأثرت به: انفردت به وتخصصت . الغيب ما غاب عن الحواس ولا يمكن التوصل إليه بالنظر و(أو) في الجميع بمعنى الواو .

عَلَّمْتَهُ أَحداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاء حُزْنِي وَذهابَ هَمِّي وَغَمِّي»[٢٠٩].

٤٠- فمن صفاته تعالى : الحياة .

لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[٢١٠]. وقوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [٢١١]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[٢١٢].

٤١- ومن صفاته تعالى : القدرة [٢١٣] على إيجاد كل ممكن وإعدامه .

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢١٤]. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾[٢١٥]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾[٢١٦].

٤٢- ومن صفاته تعالى : الإرادة [٢١٧] والمشيئة النافذة في جميع الممكنات فيخصص ما شاء بما شاء .

لقوله تعالى :﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[٢١٨].

---

(٢٠٩) إسناده صحيح. وهو في مجمع الزوائد (١٠/١٣٦) ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار. ورواه الحاكم... وللشيخ أحمد شاكر كلام نفيس. نظره في تعليقه على الحديث رقم ٣٧١٢ من مسند الإمام أحمد.

(٢١٠) البقرة : ٢٥٥.

(٢١١) طه: ١١١، عنت الوجُوهُ : ذلت وخضعت واستكانت .

(٢١٢) الفرقان : ٥٨ .

(٢١٣) صفة القدرة هذه صفة تأثير .

(٢١٤) البقرة: ١٠٩.

(٢١٥) الكهف : ٤٥.

(٢١٦) فاطر :٤٤.

(٢١٧) وهذه صفة تخصيص .

(٢١٨) الإنسان : ٣٠.

٤٣ـ ومن صفاته تعالى : العلم [٢١٩] الذي تنكشف له جميع المعلومات ، من الواجبات والجائزات والمستحيلات ، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات ؛ وتستوي عنده الجليات والخفيات .

لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[٢٢٠]، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢٢١] ، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِن وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [٢٢٢].

٤٤ـ ومن صفاته تعالى : السمع الذي تنكشف به جميع المسموعات.

٤٥ـ ومن صفاته تعالى : البصر تنكشف به جميع المبصرات[٢٢٣].

لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[٢٢٤] ، ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلى اللَّهِ﴾[٢٢٥] .

وحديث أبي موسى الأشعري [٢٢٦] رضي اللّه عنه قال : «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى اللّه عليه وآله وسلم في سَفَرٍ ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فقَالَ : «**ارْبَعُوا على أَنْفُسِكُمْ ، فإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أصَمَّ وَلا غَائِباً ، تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً قَرِيباً** [٢٢٧]». رواه البخاري .

---

(٢١٩) وهذه صفة انكشاف .

(٢٢٠) الأحزاب : ٤٠ .

(٢٢١) الملك : ١٤ .

(٢٢٢) إبراهيم : ٣٨ .

(٢٢٣) صفتا السمع والبصر صفتا انكشاف أيضاً .

(٢٢٤) النساء : ١٣٤ .

(٢٢٥) المجادلة : ١ .

(٢٢٦) أبو موسى الأشعري : صحابي جليل ورع . روى الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام وكان أحد الحَكَمين في نزاع علي ومعاوية رضي الله عنهما.

(٢٢٧) متفق عليه خ (٧٣٨٦) ومسلم (٢٧٠٤) وغيرهما، علونا : ارتفعنا أي على ربوة أو غيرها . اربعوا : أشفقوا وخففوا على أنفسكم .

٤٦- ومن صفاته تعالى : الكلام الذي يدل على جميع المعلومات .

لقوله تعالى : ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ .

٤٧- وهو الواحد في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله (٢٢٨) :

فلا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في ذاته .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في أسمائه .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في صفاته .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في أفعاله .

لقوله تعالى : ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** (٢٢٩)﴾، ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٢٣٠). ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾(٢٣١)، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**(٢٣٢)﴾ . ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**(٢٣٣) **شَيْءٌ**﴾ ،﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** (٢٣٤)﴾ .

---

(٢٢٨) الوحدانية : صفة دلالة .

(٢٢٩) الأنبياء (٢٢)، الآلهة : جمع إله وهو المعبود مطلقاً . والله هو الإله المعبود بحق . والضمير في فسدتا للسموات والأرض . والمعنى لو تعددت الآلهة في السموات والأرض لفسد نظامهما واختل سيرهما الدقيق ، لأن التمانع والتعارض والاختلاف أمور ضرورية في تعدد الحاكمين. كما قال تعالى : ﴿**إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض**﴾ .

(٢٣٠) المؤمنون : ٩١.   (٢٣١) فاطر: ٣.

(٢٣٢) مريم :٦٥ . سمياً : نظيراً وشبيهاً مسامياً أو مسمّى بأسمائه . والاستفهام للنفي أي لا تعلم له سمياً .

(٢٣٣) من المعبودات الباطلة كالأشجار والأحجار وغيرها من الأصنام والأوثان .

(٢٣٤) سورة الإخلاص . الصمد : السيد المصمود المقصود الذي يُصمد إليه في قضاء =

التوحيد العلمي والعملي :

٤٨ ـ التوحيد هو اعتقاد وحدانية اللّه ، وإفراده بالعبادة ، والأول هو التوحيد العلمي ، والثاني هو التوحيد العملي ، ولا يكون المسلم مسلماً إلا بهما.

لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ ، ﴿ **قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**[٢٣٥] ﴾ .

٤٩ـ ومن توحيده تعالى : توحيده في ربوبيته [٢٣٦] ، وهو العلم بأن لا خالق غيره ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه .

لقوله تعالى : ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ ،﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾[٢٣٧]، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ**﴾[٢٣٨].

ولقوله صلى اللّه عليه و آله وسلم : «**لاَ مَانِعَ لِما أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِي لِما**

= الحوائج على الدوام، ولا يقضى أمر دونه وقيل هو المستغني عن سواه ، لأنه صمد بمعنى لا جوف له : أي هو المستغني عن الأكل والشرب ونحوهما .
وَالكُفُؤُ : المماثل والمشابه أي ليس له مكافئ . وتوحيد هذه السورة علمي إلا قوله تعالى **(الصمد)** .

(٢٣٥) سورة الكافرون، أي لكم أصنامكم التي تعبدونها بغير حق ، ولي إلهي المعبود بحق ولكم دينكم الذي أنتم عليه ، ولي ديني الذي أنا عليه وهو الحق ، والمعنى : لكم شرككم وأصنامكم، ولي عبادتي وتوحيدي وإخلاصي للّه رب العلمين. ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . وتوحيد هذه السورة كله عملي .

(٢٣٦) الرب هو المربي لجميع المخلوقات من طور إلى طور كتطور الإنسان من النطفة إلى العلقة إلى أن يصير بشراً سوياً .

(٢٣٧) الأعراف : ٥٤ . (٢٣٨) السجدة : ٥ .

مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ (٢٣٩)»، رواه الشيخان .

٥٠- ومن توحيده تعالى توحيده في ألوهيته ؛ وهو العلم بأنه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه.

لقوله تعالى: ﴿ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُون ﴾(٢٤٠). ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً (٢٤١) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢٤٢)، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (٢٤٣)﴾ .

ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» رواه الترمذي وغيره (٢٤٤) .

---

(٢٣٩) لم يروه البخاري، وإنما رواه مسلم (٤٧٨) وأحمد وغيرهم عن ابن عباس. الجد : الحظ . أي . لا ينفع جدُّ المُجدِّ إلا إذا أعنته .
(٢٤٠) الأنبياء : ٢٥ .

(٢٤١) حنيفاً : مستقيماً أي مائلاً عن العقائد الزائفة إلى ملة الإسلام . والحنيفية ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام ويقال إنما سُمي إبراهيم حنيفاً لأنه كان يحنف عما كان يعبد قومه من الآلهة الباطلة إلى عبادة اللّه الواحد الأحد .
(٢٤٢) الأنعام : ٧٩ .

(٢٤٣) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣. صلاتي ونسكي: عبادتي وذبائحي . وواحدة النسك نسيكة. ومحياي ومماتي . حياتي وموتي . وأنا أول المسلمين : ينبغي أن تكون هذه الآية شعار كل مسلم في الأمور والمصالح العامة كما قدمنا قولاً وعملاً يتحقق فيه الوازع الإسلامي .

(٢٤٤) صحيح. ت (٢٥١٦) وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣). والترمذي أحد رجال الصحاح ، وهو الحافظ المشهور أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي . أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل تصنيفاً متقناً وبه كان يُضرب المثل ، وهو تلميذ أبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري (رضي اللّه عنه) . توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ .وتمام الحديث كما أورده : «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك لا يضروك ولا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك**». [لعلها رواية بالمعنى واللفظ: «**لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك**»... الحديث الناشر].

٥١ـ ووحدانيته تعالى في ربوبيته تستلزم وحدانيته تعالى في ألوهيته فالمنفرد بالخَلْق (٢٤٥) والرَّزْق والعَطَاء والمنع ، ودفع الضرّ ، وجلب النفع هو الذي يجب أن يُفرَد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز الغني القادر المنعم .

لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلقَكُمْ وَالَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا للّه أَنْدَاداً (٢٤٦) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢٤٧).

ولقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للّه وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذينَ اصْطَفَى (٢٤٨) آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلهٌ مَعَ اللَّه بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(٢٤٩) * أَمَّنْ جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٢٥٠) *

---

(٢٤٥) الخلق : الإيجاد . والرَّزق بالفتح : إعطاء الرِّزق بكسرها : وهو كل ما يُنتفع به .

(٢٤٦) أنداداً : جمع ند وهو الشبيه والمثيل والنظير في المستوى والسن .

(٢٤٧) البقرة : ٢١ ـ ٢٢ .

(٢٤٨) اصطفى : اختار ، والمصطفون هم الأنبياء والمرسلون ـ وهذه الآيات مبدوءة بالحمد والسلام كالخطبة .

(٢٤٩) أإله مع اللّه : استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا إله مع اللّه .

ويعدلون : أي يميلون إلى الباطل كأن يميلون عن توحيده في العبادة إلى الإشراك به سواه فيها.

(٢٥٠) حاجزاً : أي جعل مانعاً من الأرض يمنع بين الماء الملح والماء العذب حتى لا ==

أمَّنْ يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أإلهٌ مَعَ اللَّه قَليلاً مَا تَذَكَّرُونَ *

أمَّنْ يَهديكُمْ في ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً (*) بيْنَ يَدَيْ رَحْمَته أإلهٌ مَعَ اللَّه تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أمَّنْ يَبْدَأ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ منَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أإلهٌ مَعَ اللَّه قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كنتمْ صَادقينَ (٢٥١)﴾ .

٥٢ ـ ومن توحيده تعالى : توحيدهُ في شرعه . فلا حكم ولا محلل ولا محرم سواه .

لقوله تعالى : ﴿ ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ ، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا للَّهِ﴾ ، ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ (٢٥٢) ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَات مَا أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لاَ يُحبُّ الْمُعْتَدينَ﴾ (٢٥٣) .

= تفوت المنفعة المقصودة من كل منهما . وقرار : مقر من الأرض ثابت مطمئن . والقرار والمستقر بمعنى واحد .

وخلفاء: أمة تخلف أمة إلى أجل معلوم. قليلاً ما تذكرون : أي قليل ذكركم لنعمة اللَّه.

(*) ونُشُراً : النُّشْرُ مصدر الريح الطيبة أو الريح عموماً ، ولم يأت لفظ الريح في القرآن مفرداً إلا في الشر ، والرياح بالجمع إلا في الخير ولذا جاء في الدعاء: **«اللهم اجعلها رياحاً لا ريحاً»**. (في قراءة حفص بشراً وتركنا التعليق في الهامش على قراءة ورش حسب الأصل: (الناشر).

ويبدأ الخلق ثم يعيده : كالمطر مثلاً ، فإن أصله ماء ، ثم يصير بخاراً ، وقد يجمد فيصبح ثلجاً ثم يذوب فيعود ماء ، وبرهانكم : أي دليلكم على ادعائكم.

(٢٥١) النمل: ٥٩ ـ ٦٤ .   (٢٥٢) النحل : ١١٦.

(٢٥٣) المائدة : ٨٧ . وصف ألسنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب ، فألسنتهم كأنها الكذب بذاته . والافتراء تعمد الكذب .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً [٢٥٤] بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٢٥٥] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [٢٥٦] ، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[٢٥٧].

وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [٢٥٨] .

٥٣ ـ ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاد أن العبد لا يخلق أفعال نفسه ، فهو كما لم يخلق ذاته ولم يخلق صفات ذاته ، كذلك لم يخلق أفعاله ، فهو كله مخلوق للّه ذاتُه وصفاتُه وأفعالُه. غير أنه له مباشرة لأفعاله باختياره ، فبذلك كانت أعمالاً له وكان مسؤلاً عنها ، ومجازىً عليها ، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه [٢٥٩] .

فيُسمى العبد عاملاً وكاسباً ومكتسباً ، ولا يُسمّى خالقاً .

لعموم قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [٢٦٠] ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً

---

(٢٥٤) سفهاً : جهلاً .

(٢٥٥) الأنعام : ١٤٠ .

(٢٥٦) شورى : ٢١ .

(٢٥٧) الشورى : ١٠.

(٢٥٨) النساء : ٥٩ . وأحسن تأويلاً : لأن حكم اللّه ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصحها للناس في دينهم ودنياهم . والتأويل : التقدير من تأوّلَ الكلام إذا فسره وقدره .

(٢٥٩) كسبه واكتسابه : الأول في الخير والثاني في الشر . والكسب والاكتساب في اللغة : الطلب والجمع مطلقاً .

(٢٦٠) الضمير في لها وعليها للنفس .

يَــرَهُ (٢٦١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٢٦٢).

٥٤ـ ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاد أن العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله غير أن له اختياراً يجده بالضرورة من نفسه ، ومشيئة يجدها كذلك فيما يمكنه من أفعاله كان بهما مكلفاً ، ثم هو لا يخرج بها عن مشيئة الله .

لقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾(٢٦٣)، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٢٦٤).

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢٦٥)﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾(٢٦٦)، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾(١٦٧)، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (٢٦٨) .

٥٥ـ ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاده أن العبد لا يعلم الغيب وهو ما غاب عن الحواس ، ولا يُوصَل إليه

---

(٢٦١) مثقال ذرة: مقدارها وميزانها، والذرة: واحدة الذر، وهو الهباء و الغبار الدقيق المنتشر في الهواء، وهذا من تمام العدل والإنصاف للإنسان أن يُجزى على كل ما يعمل من خير أو شر.

(٢٦٢) الزلزلة : ٧ ـ ٨ . (٢٦٣) الإنسان : ٣٠ . (٢٦٤) التكوير : ٢٩ .

(٢٦٥) الأنعام : ١١١. أي لو نزّلنا إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وجمعنا لهم كل شيء ما كانوا ليؤمنوا إلا بمشيئة اللّه، ولكنّ أكثرهم يجهلون فيظنون أن إيمانهم يتوقف على ظهور معجزة. وقُبلاً: أصنافاً متعددة جمع قبيل وقبيل، أي صنف صنف أو مقابلة. وأما قوله تعالى : **﴿لا قِبَل لهم بها﴾** فمعناه لا طاقة لهم بها .

(٢٦٦) الأنعام : ١١٢ . (٢٦٧) يونس : ٩٩ .

(٢٦٨) الكهف: ٢٩. ظاهره أمر وباطنه زجر وتهديد كقوله تعالى: **﴿افعلوا ما شئتم﴾** وهو من سنن العرب: **(إذا لم تستح فاصنع ما شئت)**. ففيه تهديد ووعيد على الفعل.

بصحيح النظر فلا يُعلم منه إلا ماجاء في صحيح الخبر . فيجب الإيمان به حينئذ كما جاء بدون زيادة ولا تنقيص (٢٦٩) .

لقوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً * إلا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه رَصَداً * لِيَعْلَمَ أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (٢٧٠)﴾، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾(٢٧١)، ﴿وَلاَ أقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّه وَلا أعْلَمُ الْغَيْبَ﴾(٢٧٢)، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (٢٧٣) ﴿ولا تقْفُ ما ليسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً(٢٧٤)﴾، ﴿وعِنْدَه مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هو﴾(٢٧٥)، ﴿عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، ﴿قُلْ إنَّما العِلْمُ عِندَ اللَّه﴾، ﴿تَعْلم ما في نَفْسي ولا أعلمُ ما في نَفْسِكَ﴾ .

---

(٢٦٩) إن من صفات المؤمن الإيمان بالغيب. ومن المغيبات التي نؤمن بها ولا ندركها بحواسنا: الملائكة، والجن، والجنة، والنار، والعرش، والصراط، والميزان.. إلخ وصحيح الخبر هو الكتاب والسنة .

(٢٧٠) الجن : ٢٦ - ٢٩. رصداً: حرّاساً من الملائكة، وقوله تعالى : ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ يخرج بهذا دجاجلة الغيب، والمبالغات والتهاويل في شأن الأولياء، وافتراءات أهل الصوفيين ومن ينسب إليهم من الأقطاب والأغواث والأوتاد، وسماسرة الغيب الآخرين من ضاربي الرمل والودع، وقارئي الكف والطالع وغير ذلك من مختلف الوسائل التي تلبس على العامة والدهماء وضعاف العقول.

(٢٧١) البقرة : ٣٢ .

(٢٧٢) هود : ٣١ .

(٢٧٣) الأعراف : ١٨٨.

(٢٧٤) الإسراء: ٣٦. لا تقف: لا تتبع، وكل عضو مسؤول عنه صاحبه أي عما فعل به. والفؤاد هنا : العقل.

(٢٧٥) الأنعام : ٥٩ .

الإيمان بالقدر

٥٦ - القدر في اللغة هو الإحاطة بمقدار الشيء. تقول: قدرت الشيء أقدره قدراً إذا أحطت بمقداره.

وقدرُ اللّه تعالى هو تعلق علمه وإرادته أزلاً بالكائنات كلها قبل وجودها، فلا حادث إلا وقد قدّره اللّه تعالى، أي سبق به علمه وتقدمت به إرادته، فكل حادث فهو حادث على وفق ما سبق به علم اللّه ومضت به إرادته[٢٧٦].

لقوله تعالى: ﴿إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢٧٧]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً[٢٧٨]﴾.

ولقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم في حديث سؤال جبريل عليه السلام:

---

(٢٧٦) ليت دجاجلة علم الغيب وسماسرة الدّين الذين يفترون على اللّه مالا يعلمون ويوهمون الناس بالحروز ونحوها يتدبرون هذا. والوفق مصدر: الموافقة والمطابقة بين الشيئين. ومضت إرادته: نفذت إرادته. وكم يعجبني قول الإمام الشافعي رضي اللّه عنه في القضاء والقدر:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يَكُنْ

خلقت العباد لما قد علمتَ ... ففي العلم يُجزى الفتى والمُسِنْ

فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حَسَنْ

على ذا مننت وهذا خذلْتَ ... وهذا أعنت وذا لم تُعِنْ

(٢٧٧) القمر: ٤٩. (٢٧٨) الأحزاب: ٣٨. يعني أن التقدير سبق به علم اللّه وإرادته.

«**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ** [٢٧٩]» .

٥٧ـ وكما سبق قدر اللّه للأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها [٢٨٠].

لقوله تعالى : ﴿**مَا أصَاب مِنْ مُصيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأهَا إنَّ ذَلكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلاَ تَأسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِما آتَاكُمْ وَاللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخُورٍ** [٢٨١]﴾.

ولحديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «**كَتَبَ اللّهُ مَقَادِيرَ الخَلائق قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ** [٢٨٢]»، رواه مسلم [٢٨٣].

---

(٢٧٩) تقدم الحديث بتمامه في تعليق بيان معنى الإسلام رقم (١٨) رواه مسلم من غير زيادة (حلوه ومره) .

(٢٨٠) يعني أمر القلَم فكتبها في اللوح . والقلم واللوح من الأمور الغيبية نؤمن بها ولا ندركها بحواسنا .

(٢٨١) الحديد ٢٢. والمصيبة كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر وقد تُطلَق على ما يناله من مكروه فقط. والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ وهو من الأمور التي نؤمن بها ونكل إلى اللّه وصفه وماهيته . نبرأها : نخلقها . تفرحوا : فرح البطر والعجب وهذا ممنوع . والمختال الفخور: المتكبر المعجب بنفسه وهذا أيضاً ممنوع.

(٢٨٢) الخمسين ألف سنة : ليست كالسنين المعروفة عندنا فعلمها عند اللّه والأعداد في القرآن كثيرة لا مفهوم لها وإنما المقصود التقريب والتمثيل . والعرش : مخلوق عظيم للّه تعالى وهو أول المخلوقات ، وهو في اللغة : سرير الملك وكرسي الحكم .

وعبد اللّه بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أسلم قبل أبيه ، ومن طريف أحواله أنه ليس بينه وبين أبيه إلا إحدى عشر أو اثنتا عشرة سنة مات ليلة الحرة سنة ثلاث وستين ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

(٢٨٣) برقم (٢٦٥٣).

العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر:

٥٨ ـ الشرع معلوم لنا، وضعه اللّه لنسيِّر عليه أعمالنا.

والقدر مُغَيَّبٌ عنا، أمرنا اللّه بالإيمان به لأنه من مقتضى كمال العلم والإرادة من صفات ربنا.

فالقدر في دائرة الاعتقاد، والشرع في دائرة العمل(٢٨٤).

وعلينا أن نعمل بشرع اللّه ونتوسل إلى المسببات المشروعة بأسبابها(٢٨٥)، ونؤمن بسبق قدر اللّه تعالى فلا يكون إلا ما قدره منها، فَمَنْ سبقت له السعادة يُسِّرَ لأسبابها، ومن سبقت له الشقاوة يُسِّرَ لأسبابها:

لحديث علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال: (كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ (٢٨٦) فأَتَانَا رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ (٢٨٧)،

---

(٢٨٤) لابد من الإيمان بالقدر والعمل بالشرع ولا منافاة بينهما: قال عليه السلام «**لا أدري ما يُفعل بي ولا بكم**» يعني في شؤون الدنيا . أما في الآخرة فمعلوم أن أهل الإيمان في الجنة وغيرهم في النار .

(٢٨٥) كتوسلنا للنسل بالزواج وللزرع بالحرث ، والعلم بالتعلم وهكذا مع الإيمان بالقدر. ولا يجوز أبداً ترك العمل الممكن المعلوم الذي أمر به الشرع اتكالاً على القدر المغيب المجهول عندنا مع إيماننا به .

(٢٨٦) بقيع الغرقد : اسم مقبرة بالمدينة المنورة ضمت رفات عدد كبير من الصحابة والتابعين رضي اللّه عنهم أجمعين لا تبعد عن الحرم النبوي وتُعرف اليوم بالبقيع .

(٢٨٧) المخصرة : عصا رقيقة يتوكأ عليها . ونكس رأسه : حناه وطأطأه للتفكير والتدبر . ينكت : ينقط الأرض بالمخصرة شأن المفكر المتدبر لأن الحركة العقلية مرتبطة بالحركة البدنية غالباً. يقال للشيء الغامض (فيه نكتة) أي مسأله تحتاج إلى التروي واستعمال الفكر وفي هذه الحال يبدأ الإنسان يعبث بأصابعه أو بما في يده بلا شعور فينكت الأرض مثلاً أو ينقر رأسه أو غير ذلك كأنما يبحث عن شيء فقده .

فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ[٢٨٨] إلا كُتِبَ مَكَانُها مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإلا كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»**.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُول اللّه أفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا [٢٨٩] وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كانَ مِنا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَة فَسَيَصِيرُ إلَى السَّعادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إلَى الشَّقَاوَةِ؟.

فقَالَ: **«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مَيسَّرٌ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»**[٢٩٠]، ثُمَّ قَرأَ قَوْلَ اللّهِ تَعَالَى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا منْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**[٢٩١]﴾ رواه البخاري ومسلم[٢٩٢].

ولحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : **«المؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأحَبُّ إلَى اللّهِ مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**.

---

(٢٨٨) منفوسة : مخلوقة . (٢٨٩) أي ما كُتب لنا وقُدر .

(٢٩٠) القدر مُغيَّب عنا والشرع معلوم لنا ، فيجب الإيمان بالأول والامتثال للثاني ، ولا يرتبط الإنسان بالمغيَّب ويدع المعلوم ، ولا يحتج بالقدر وحده دون الشرع ، كأن يعمل محرماً ويقول قدره اللَّه ، بل فعلته شهوته ، وامتثل لما سولته له نفسه ، وترك الامتثال للشرع ، فكلامه مردود. وحجته باطلة لأنه لا يعلم قدر اللَّه المغيب عنه حتى يحتج به .

(٢٩١) أعطى ما وجب عليه من زكاة وغيرها ، واتقى أي امتنع عما نهى اللَّه عنه كالمحرمات والمكروهات . والحسنى الشهادة . واليسرى هي الجنة ، والعسرى هي النار، فمن سار في طريق الخير سهله اللَّه له ووجد خاتمة مطافه الجنة . ومن سار في طريق الشر واستمر فيه وجد خاتمة مطافه جهنم .

(٢٩٢) هذه رواية مسلم برقم (٢٦٤٧)، أما البخاري فقد رواه بلفظ آخر تحت رقم (١٣٦٢) .

احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّه وَلاَ تَعْجزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ.. كَانَ كَذَا وَكَذا وَلَكِنْ قُلْ قَدَّر اللّه وَمَا شَاءَ فَعلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٢٩٣). رواه مسلم(٢٩٤).

الاحتجاج بالقدر :

٥٩- لا يُحتج بالقدر في الذنوب (٢٩٥) لأن حجة الله قائمة على الخلق بالتمكن والاختيار والدلالة الشرعية (٢٩٦) .

لقوله تعالى : **﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ (٢٩٧) ﴾.**

---

(٢٩٣) من مقتضى الإيمان: القوة والحركة والعمل ، فيتحرك الإنسان ويعمل بما يُقوّي عقله وقلبه وبدنه ؛ فيقوّي العقل بالعلم والتفكير . والقلب بالإيمان واليقين . والبدن بالنظافة والرياضة ومن كان كذلك فهو أحب إلى الله والناس من المؤمن الضعيف .
قال عمر بن الخطاب يوماً لجماعة القراء وهم يمشون الهوينا : (لا تُميتوا علينا ديننا أماتكم الله). وقالت عائشة رضي الله عنها تخاطب القراء أيضاً : (كان عمر إذا ضرب أوجع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع) .
ولا تعجز : معناه لا تيأس ، وعمل الشيطان وساوسه ومداخله وأوهامه للإفساد . وفي الحديث علاج ضعف الإيمان من أول قوله : احرص إلى آخره .

(٢٩٤) برقم (٢٦٦٤).

(٢٩٥) بمعنى لا يُلقي الإنسان التبعة على القدر ويقول أنا مسيَّر لا مخيَّر . وكثيراً ما يقول الإنسان الشرقي ذلك فيعوقه عن النهوض وتنمية الإرادة والعزيمة والقدرة .

(٢٩٦) الدلالة الفطرية : هي ما يدركه الإنسان بفطرته وخلقته من ضار ومن نافع . وحتى الحيوانات تعرف ذلك . والدلالة الشرعية : هي ما جاء في شرع الله عن الحرام وعن الحلال. وقدرة التمكن والاختيار : لا يمكن إنكارهما .

(٢٩٧) الزخرف: ٢٠. يخرصون: يقولون غير الحق لأنهم لا يعلمون أن الله شاء لهم أو لم يشأ، فكيف يحتجون بالقدر وهو مُغيَّب عنهم. ولهؤلاء المشركين حجة أخرى عرجاء =

الحذر والقدر :

٦٠ ـ مع الإيمان بالقدر ، يجب الأخذ بالحذر .

لقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾(٢٩٨)، وقوله تعالى : ﴿**وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**﴾(٢٩٩).

الحكمة والعدل في القدر :

٦١ـ القدر كله عدل وحكمة ، فما يصيب العباد فهو جزاء أعمالهم. وقد تُدْرَك حكمة القدر ولو بعد حين ، وقد تَخفى ، لأن من أسمائه تعالى : الحكيم، ورد في الآيات والأحاديث الكثيرة .

ومن أسمائه تعالى : العدل ، ورد في حديث الأسماء عند الترمذي(*) .

ولقوله ﷺ في حديث الكرْبِ : «**عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ** (٣٠٠)» .

ولقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾(٣٠١).

= في عكوفهم على معبوداتهم الباطلة إذ قالوا : ﴿**إِنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون**﴾، وهم بهذا كالقردة يقلدون بدون فقه ولا تدبر ، وهم بذلك أيضاً يلغون وجودهم الإنساني ، وميزة التفكير والعقل، فيرتدون عن الإنسانية الرشيدة إلى الطفولة والبشرية البدائية.

(٢٩٨) النساء: ٧١. (٢٩٩) النساء: ١٠٢.

(*) تعيين الأسماء في حديث أبي هريرة: «**إن لله تسعة وتسعين اسما...**» الحديث رواه الترمذي (٣٥٠٧) والبيهقي (١٠٢) في الشعب وابن ماجه (٣٨٦١) وهذه الزيادة ضعيفه وبدون تعيين الأسماء فالحديث متفق عليه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦) [الناشر].

(٣٠٠) تقدم حديث الكرب بتمامه في درس (٣٩) في (عقيدة الإثبات والتنزيه)

(٣٠١) الشورى : ٣٠ .

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

٦٢ـ الملائكة مخلوقون من النور ، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة . ميسرون للطاعات ، معصومون من المعاصي، مسخّرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون ، وحفظ العباد ، وكتابة أعمالهم ، وأُمناء على الوحي في حفظه وتبليغه .

لحديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول الله صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « **خُلِقَتِ المَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ** [٣٠٢] **مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَم مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ** » رواه مسلم[٣٠٣].

ولقوله تعالى : **﴿ وَجَعَلُوا الملاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمَنِ إنَاثاً أشهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾**[٣٠٤]، **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ**

---

(٣٠٢) المارج . الشعلة ذات اللهب الشديد ، وهو من قولك مرج الشيء إذا اضطرب ولم يستقر وكذلك اللهب مضطرب . فقوله من مارج من نار : أي من نار لا دخان لها .

«**وخلق آدم مما وُصفَ لكم**» أي من صلصال كالفخار ، والصلصال هو الطين إذا نقرتَ عليه صلَّ وصوَّت ، والفخار طين ولكنه مطبوخ وصلّ وصلصل بمعنى واحد مثل صرّ الباب وصرصر عند الإغلاق أو الفتح . بمعنى أحدث صوتاً .

(٣٠٣) برقم (٢٩٩٦) .

(٣٠٤) الزخرف : ١٩.

عِبَادَتِه وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٣٠٥) ﴾ .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ المسَبِّحُونَ (٣٠٦) ﴾.

﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٣٠٧)﴾. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٣٠٨) ﴾، ﴿فَالمقَسِّمَاتِ أَمْراً (٣٠٩)﴾ ، ﴿فَالمدَبِّرَاتِ أَمْراً ﴾(٣١٠)، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾(٣١١)، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ(٣١٢) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾(٣١٣).

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣١٤)، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣١٥) ، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *

---

(٣٠٥) الأنبياء : ١٩ ـ ٢٠ . ولا يستحسرون: لا يكلّون ولا يسأمون لشدة محبتهم وقوتهم فهم لا يعيون ولا يتعبون .

لا يفترون : لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة فهم مستغرقون دائماً في العبادة

(٣٠٦) الصافات: ١٦٥ـ ١٦٦. الصافون : الواقفون صفوفاً في العبادة والجهاد وكل الطاعات والعبادات هم فيها صفوف صفوف مثل الناس في الصلاة .

(٣٠٧) الأنبياء: ٢٧ـ ٢٨. مشفقون : أي خائفون .

(٣٠٨) النحل : ٥٠. من فوقهم : الفوقية معنوية، فالله سبحانه لا يُحدُّ بزمان ولا بمكان. هذه العبارة توهم معنى غير الذي عناه الشيخ. والفصل: أن الفوقية على الحقيقة كما هو ثابت بلا كيف. وعبارة «لا يُحد بزمان ولا مكان» من كلام المتكلمة التي يلزم عدم الخوض فيه. الناشر

(٣٠٩) الذاريات:٤. المقسمات أمراً: هم الملائكة يقسمون المقدرات التي قدرها الله تعالى .

(٣١٠) النازعات: ٥. (٣١١) الطارق : ٤.

(٣١٢) معقبات : ملائكة يعقب بعضهم بعضاً في الليل والنهار .

(٣١٣) الرعد : ١١. (٣١٤) الانفطار : ١٠-١٢.

(٣١٥) ق: ١٧ـ ١٨. رقيب عتيد : الرقيب : هو الحافظ لأعماله ، والعتيد : هو المعد =

كِرَامٍ بَرَرَةٍ (٣١٦)﴾ ،

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إلا المطَهَّرُونَ(٣١٧)﴾. ﴿فَالْملْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾(٣١٨) .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الملائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾(٣١٩) .

* * *

= الحاضر، قيل هما ملكان من ملائكة الله يسجلان على الإنسان حسناته وسيئاته. وقعيد، ملك قاعد مثل جليس وجالس .

(٣١٦) عبس: ١٣ـ ١٦. سفرة : ملائكة يسفرون بين الله وبين أنبيائه و حدهم سافر ، من سفرت بين القوم إذا مشيت بينهم بالصلح ، فجُعلت الملائكة إذا نزلت بالوحي لهداية ولتربية الناس وتأديبهم كالسفير الذي يصلح بين القوم .

(٣١٧) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩. مكنون : محفوظ ومصون من الخلط والزيادة والتنقيص . ومكنون من كنّ الشيء وأكنه إذا ستره وأخفاه في كنه ، والكنُّ وقاء كل شيء وستره . ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ .

(٣١٨) المرسلات: ٥ ـ ٦. (٣١٩) الحج : ٧٥ .

الإيمان بكتب الله تعالى

٦٣ـ نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ، فمنها : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن [٣٢٠] . ومنها غيرها مما لم نعلمه على سبيل التفصيل ، فكلها من عند الله وكل ما فيها حق . لقوله تعالى :

﴿ وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّه مِنْ كِتابٍ ﴾ [٣٢١] ، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لما بَيْن يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[٣٢٢] ،﴿وآتَيْنَا دَاودَ زَبُوراً ﴾[٣٢٤] .

حفظ الله القرآن دون غيره :

٦٤ـ حفظ الله القرآن من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل ، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة ، فهو كله حق من عند الله ، ولم يحفظ غيره من

---

(٣٢٠) التوراة كتاب موسى عليه السلام . والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام ، والزبور كتاب داود عليه السلام، والقرآن كتاب محمد عليه السلام، ويُسمى أيضاً الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل .

(٣٢١) الشورى: ١٥.

(٣٢٢) آل عمران: ٣ـ٤ .

(٣٢٤) النساء : ١٦٣.

الكتب ، فدخلت عليها الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل . ففيها حق وفيها باطل . لقوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣٢٥) . ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً(٣٢٦) عَلَيْهِ﴾(٣٢٧) .

القرآن هو الهداية العامة للبشر :

٦٥ـ نؤمن بأن القرآن العظيم أنزله اللّٰه تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول ، وتزكية النفوس ، وتقويم الأعمال ، وإصلاح الأحوال ، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام . وأن كل ما خالفه فهو ضال (٣٢٨) .

لقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاه إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٣٢٩) ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٣٣٠)﴾ ، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

---

(٣٢٥) الحجر : ٩.

(٣٢٦) مهيمناً عليه : شاهداً ومؤتمناً ورقيباً على كتاب قبله لأنه يشهد بصحة الصحيح وسقم السقيم من الكتب السوالف فما وافقه فذلك هو الحق . وما خالفه فهو باطل .

(٣٢٧) المائدة : ٤٨ .

(٣٢٨) التزكية بمعنى التطهير . وخليق بنا إذن أن نقف عند وظيفة القرآن الكريم ، فلا نُكره آياته على مالا تتحمله، ولا نُقسرها ونُطوعها قهراً لما نريده ، لأن ذلك ليس من مهمته فلا نحمله عليه .

(٣٢٩) إبراهيم : ١.

(٣٣٠) الأعراف: ١٥٧. عزروه : نصروه وأيدوه وكانوا معه .

وَرَحْـمَةٌ لِلْمُؤْمنِينَ﴾[٣٣١].

ولقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع : «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ** [٣٣٢] **بِهِ : كِتَابَ اللَّهِ**» رواه مسلم[٣٣٣].

الإيمان بالسنة إيمان بالقرآن :

٦٦- ومن الإيمان بكتاب اللَّه أن نؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي[٣٣٤] صلى اللَّه عليه وآله وسلم فهو حق من عند اللَّه ، وبيان لكتاب اللّه ، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن ، وأن الترك له تركٌ للقرآن . لقوله تعالى :

﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** [٣٣٥]﴾، ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُم يتفكَّرُونَ** ﴾ [٣٣٦].

---

(٣٣١) الإسراء :٨٢.

(٣٣٢) اعتصمتم به : تمسكتم به وعملتم بما فيه، ومما نزل من الوحي في حجة الوداع بعرفة قوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ إلخ . فقد أتمّ اللّه بها التشريع ، وأكمل الفرائض والأحكام حتى صار القرآن دستوراً كاملاً للإسلام .

(٣٣٣) برقم (١٢١٨).

(٣٣٤) السنة النبوية هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول وفعل وحكم وتقرير وهي حجة في دين اللّه بالإجماع .

(٣٣٥) الحشر:٧. السنة بيان وشرح وتفسير لما أُبهم من القرآن أو تفصيل لما أُجمل فيه بدليل هذه الآية وغيرها من الآيات البينات الكثيرات مثل : ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**﴾ .

(٣٣٦) النحل : ٤٤.

ولقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ (٣٣٧) فَإنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأحْسَنُ تَأوِيلاً(٣٣٨)﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمْراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً(٣٣٩)﴾ . ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٣٤٠)﴾ .

* * *

(٣٣٧) أمر بطاعة اللّه والرسول . وأولي الأمر منّا ، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، واتباع السنة . وجاء في الأثر . «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

(٣٣٨) النساء:٥٩. وأحسن تأويلاً : لأن حكمه تعالى من أحسن الأحكام . والتأويل هو التفسير والتقدير وما يؤول إليه الكلام من معنى وعاقبة . يقال : تأوّل فلان الآية أي نظر إلى ما يؤول إليه معناها .

(٣٣٩) الأحزاب:٣٦. الخِيَرَة : الاختيار، وقضى بين الخصمين : حكم بينهما وفصل . ومعنى الآية ليس لأحد من المؤمنين أن يختار بعد حكم اللّه ورسوله . وما على المؤمن الحق إلا السمع والطاعة والامتثال للّه ورسوله والإسراع إلى مرضاتهما .

(٣٤٠) النساء: ٦٥. التشاجر : التنازع والتخالف . يقال : (شجر ما بينهم) أي تنازعوا . والحرج : الضيق والإثم أو الاعتراض . يقال : (حدّث عن البحر ولا حرج) أي ولا اعتراض عليك. ويسلموا : بمعنى ينزلوا على حكمه ويرضوا بقضائه ، ويذعنوا لأحكامه .

عقائد الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

٦٧ـ إن الربَّ الحكيم جلّ جلاله خلقنا لعبادته ، وفي عبادته كمالنا وسعادتنا ، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا وأباح لنا .

ولا يمكننا أن نعرف ذلك إلا إذا بيّنه لنا فاختار منا ـ تفضلاً منه ورحمة ـ قوماً فطرهم [٣٤١] على الفضائل والكمالات ، وعصمهم من الرذائل والنقائص وهيأهم لملاقاة الملائكة الأطهار ، ليتلقوا منهم وحي اللّه [٣٤٢] وبيانه للعباد ، فيبلّغوه إليهم ، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به .

وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام الذين نؤمن بهم كلهم . من عرفنا منهم بتعريف اللّه ومن لم نعرف .

لقوله تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُون﴾[٣٤٣] .

---

(٣٤١) فطرهم على الفضائل أنشأهم وطبّعهم عليها . وعصمهم من الرذائل : حفظهم ووقاهم منها .

(٣٤٢) وحيُ اللّه ما يلقيه إلى أنبيائه ورسله ليعلمهم شرائعه وأحكامه .

(٣٤٣) الذاريات : ٥٦.

﴿ يَأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرسُولِ إذَا دعَاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ[344]﴾، ﴿ وَمَا أمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[345]، ﴿مَا كُنْتَ تدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمانُ ﴾[346] . ﴿إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ على الْعَالَمِينَ﴾[347]، ﴿إنْ نَحْنُ إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ[348] عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[349] . ﴿إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[350]، ﴿وإنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[351]، ﴿اللَّهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالته[352] ﴾، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لنزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾[353] .

ولقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ[354] ﴾ ، ﴿فَبِهُداهُمُ اقْتَدهْ[355] ﴾ .

---

(٣٤٤) الأنفال: ٢٤. لما يحييكم: لما فيه حياتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة .

(٣٤٥) البينة: ٥ .

(٣٤٦) الشورى: ٥٢ .

(٣٤٧) آل عمران: ٣٣ .

(٣٤٨) يمن :ينعم ويتفضل

(٣٤٩) إبراهيم :١١ .

(٣٥٠) الدخان: ٥ ـ ٦ .

(٣٥١) ص : ٤٧ .

(٣٥٢) الأنعام :١٢٤.من حكمة اللّه البالغة أن يختار من البشر من يصلح لتحمل أعباء رسالاته ممن يتصفون بكل كمال .

(٣٥٣) الإسراء :٩٥.

(٣٥٤) الجن : ٢٦ ـ ٢٨. رصداً : حرساً من الملائكة ليحفظوه من اختطاف الشياطين الذين يسترقون السمع ، وسبقت الإشارة إلى ذلك في التعليق على الآية في توحيد اللّه تعالى في ربوبيته درس (٥٥) ، وفيها إشارة إلى دجاجلة الغيب وسماسرة الإفك .

(٣٥٥) الأنعام : ٩٠ . اقتده : اتبع يا محمد هؤلاء الأنبياء الأخيار واتبع ملتهم الصحيحة ، وبذلك اجتمعت له كل الكمالات .

ولقوله تعالى : ﴿ **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه**[٣٥٦] ﴾، ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**[٣٥٧] ﴾ .

٦٨ـ هم حجة اللّه وشهوده ، أنبأهم اللّه بوحيه ، وأرسلهم لتبليغه لخلقه ، ليُعرِّفوهم به وبشرعه ، وينبهوهم إلى آياته ، ويذكروهم بإنعاماته ، ويبشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم ، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم ، فقامت بهم ـ لما بلّغوا الرسالة وأدوّا الأمانة ـ حجّة اللّه على خلقه ، وكانوا ـ وهم العدول الأمناء الصادقون ـ شهداء عليهم يوم لقائه .

لقوله تعالى : ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسحقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**[٣٥٨] **وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا داوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً * رُسُلاً**

---

(٣٥٦) البقرة : ٣٨٥. لا نفرق بين أحد من رسله : نحن قوم نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين عملاً بما جاء في القرآن وبهذا ننال رضى اللّه ورضى جميع أنبيائه ، بخلاف من يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

(٣٥٧) غافر: ٧٨. قصصنا عليك : ذكرنا لك وحدثناك عنهم ، وعدد المذكورين في القرآن خمسة وعشرون نعرفهم بأسمائهم جمعهم الناظم في هذين البيتين :

فــي (تلك حجتنا) منــهم ثمـانية   من بعد عشر ويبقى سبعة وهــمو
إدريس، هود، شعيب، صالح، وكذا   ذو الكفل، آدم، بالمختار قد خُتموا

(٣٥٨) الأسباط في اليهود كالقبائل في العرب ، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب عليه السلام وسُمي هؤلاء بالأسباط ، وهؤلاء بالقبائل للفصل بين أبناء الأخوين إسماعيل ويعقوب ابني إبراهيم عليهم السلام .
والسبط أيضاً ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن .

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ للنَّاسِ عَلى اللَّهِ حُجَّةٌ(٣٥٩) بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾(٣٦٠) .

ولقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾.(٣٦١) ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كلِّ أمةٍ شهيداً مِن أنفُسِهم وجِئنا بِكَ شَهيداً عَلَى هَؤُلاءِ﴾ (٣٦٢) .

تأييد اللّه لهم بالبينات والآيات:

٦٩ـ لما أرسل اللّـه الرسل لهداية خـلقه ، وإقامة حجـته . أيدهم بالبينات ، وهي كل مـا تبين به الحـق ، من كمال سيـرتهم في قومـهم ، ووضـوح بيـانهم . وقوة حجتهـم ، وأيدهم بالآيات المعجزات(٣٦٣) الخارقة لـلعادة . المعـجوز عن معارضتها(٣٦٤) ، فكانوا يدعون الخلق بالحجج والبراهين .

---

(٣٥٩) حجة : تعلة واعتذار.

(٣٦٠) النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٣٦١) النساء: ٤١ . (٣٦٢) النحل: ٨٩.

(٣٦٣) الآيـات : العـلامات والـعبر والعجائـب من الـقول المـعجز أو غـيره مما فيـه العبرة والعظة والتبكيت . والآية من القرآن : جملة كلمات بليغة محكمة .

(٣٦٤) تحـدى الرسـولُ الـعربَ وهـم أربـاب البـلاغـة وزعمـاء البـيان أن يـأتـوا بشـيء من القـرآن فعجزوا وباءوا بـالفشل الذريع . فكانت هـذه هي آيته الكبرى، وهي آيـة عمية عقلية بـاقية لها صفة الديمومة بخلاف معجزات الأنبياء السابقين فمرهونة بوقتها .
والخارقة لـلعادة أي المتـجاوزة لحدود المألـوف المعروف، المحطـمة المهدمـة لما عدده الناس من عادات بحيـث لا يمكن لأحد مهما أُوتـي من علم ومن براعـة وحذق أن يحاكيها أو يـقلدها. وبذلك يثبت فشله وعجزه ، هذه هي المعجزات الخارقة للعادة .
ومن ينكر المعجزات في الحقيقة ينكر نفسه وعقـله ، ولو طالبناه بإثبات ماهية عقله الذي يحكم به على الأشياء لعجز !!.

فإذا سألوهم آية ردوا الأمر إلى اللّه ، وتبرأوا من أن يكون لهم معه تصرف في الكون حتى يأتوا بالآيات ، فيعطيهم اللّه الآيات تأييداً لهم، وتخويفاً لقومهم: فيخضع قوم فيؤمنون ، ويستمر الأكثرون على العناد(٣٦٥)، فتحق عليهم كلمة العذاب .

لقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾(٣٦٦) ، ﴿**قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا**(٣٦٧) **قَبْلَ هذَا** ﴾(٣٦٨) ،﴿**وَمَا أَرْسَلْنَامِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾(٣٦٩) ، ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾(٣٧٠).

ولقوله تعالى : ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**(٣٧١) * **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ**

---

(٣٦٥) العناد : التمادي على الضلال ومخالفة الحق مع معرفته . وتحق عليهم كلمة العذاب : مثل : ﴿**حق عليهم القول**﴾ و﴿**حقت كلمة ربك**﴾ أي وجبت وثبتت عليهم الحجة وقام عليهم الدليل فوجب العذاب وحق العقاب .

(٣٦٦) الحديد : ٢٥.

(٣٦٧) مرجواً : أي كنا نرجو منك الخير والعقل ، إذا بك تخيب آمالنا ورجاءنا فيك وهذا من عنادهم ومكابرتهم .

(٣٦٨) هود : ٦٢ .

(٣٦٩) إبراهيم : ٤.

(٣٧٠) الأنعام : ٨٣ .

(٣٧١) مريب : موقع في الريبة ، موجب للاضطراب وهذا منهم محض كذب . وفاطر السموات والأرض : خالقهما ومبدعهما لا على مثال سابق . وأجل مسمى : وقت معلوم معين .

لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٣٧٢) * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا (٣٧٣) وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٣٧٤).

ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفاً﴾(٣٧٥).

تمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم:

٧٠- هم عليهم الصلاة والسلام على علو منزلتهم لا يمتازون عن الخلق في تمام عبوديتهم، بافتقارهم إلى الله، وجريان قدره عليهم، وعدم ملكهم شيئاً معه من التصرف في ملكه، وعدم علمهم الغيب إلا ما علّمهم الله، وجريان شرعه عليهم، وقيامهم بما كُلِّفوا به خاضعين لله راجين خائفين. لقوله تعالى:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٣٧٦)،

---

(٣٧٢) بسلطان مبين: بحجة بينة ومعجزة ظاهرة يقترحونها، ومعلوم أن الرسل جاءتهم بالبينات، ولكن مع وضوح الحق لجَّ الكافرون في طغيانهم يعمهون.

وتصدونا معناه: تصرفونا وتمنعونا.

(٣٧٣) وهدانا سبلنا: دلنا على طرق الحق والاستقامة.

(٣٧٤) إبراهيم: ٩-١١.

(٣٧٥) الإسراء: ٥٩.

(٣٧٦) النساء: ١٧٢. لا يأنف ولا يمتنع المسيح عن أن يكون عبداً لله ولا الملائكة كذلك.

﴿رَبِّ إنِّي لِمَا أنْزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٣٧٧]، ﴿ وَمَا أدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إنْ أتَّبِعُ إلا ما يُوحَى إليَّ[٣٧٨] وَمَا أنَا إلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٣٧٩]، ﴿قُلْ لا أمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيرِ[٣٨٠] وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ[٣٨١] ﴾.

﴿ وَمَا أرِيدُ أنْ أخَالِفَكُمْ إلَى مَا أنْهَاكُمْ عَنْهُ[٣٨٢] ﴾ ،﴿يَاأيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٣٨٣].

ولقوله تعالى : ﴿أولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ[٣٨٤] إلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أيُّهُمْ أقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إنَّ عَذَاب رَبِّكَ كان مَحْذُوراً﴾[٣٨٥].

---

(٣٧٧) القصص : ٢٤ . الضمير لسيدنا موسى عليه السلام .

(٣٧٨ ، ٣٨٠) الضمير لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٣٧٩) الزخرف : ٩.

(٣٨١) الأعراف: ١٨٨ . اللّه هو النافع وهو الضار ، وليس للرسول من العلم إلا ما علّمه اللّه، ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من أسباب الخير ولما لحقه الأذى وإذا كان الرسول لا يعلم الغيب فكيف بغيره؟

(٣٨٢) هود: ٨٨. الضمير لسيدنا شعيب عليه السلام .

(٣٨٣) المؤمنون: ٥١.

(٣٨٤) يبتغون : خبر الذين يدعون ـ والضميرعائد على الملائكة عليهم السلام . والوسيلة: الطاعة والعبادة التي يتوسلون بها للتقرب إلى اللّه .
والمعنى : أن الملائكة والأنبياء وصالحي المؤمنين يعبدون اللّه ويتنافسون في التقرب إليه بالأعمال الصالحة رجاء رحمته وخوف عذابه . والخوف والرجاء والمحبة أصل كل خير، ووصف اللّه بها المقربين من عباده الصالحين .

(٣٨٥) الإسراء: ٥٧.

تأدبنا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه :

٧١- هم عباد اللّه يخاطبهم بما شاء ، ويعاتبهم بما أراد . فيعترفون ويستغفرون ، وليس لنا فيما عوتبوا عليه [٣٨٦] واستغفروا منه إلا حكاية لفظه كما ثبت في الكتاب والسنة ، مع اعتقاد احترامهم وإكبارهم . وأنه يعاتبهم على قدر علو منزلتهم . وأنهم لكمال معرفتهم بربهم وعظيم حقه عليهم يرون مالا يعدُّ تقصيراً بالنسبة لغيرهم تقصيراً بالنسبة لهم . لقوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [٣٨٧] .

* * *

(٣٨٦) كقوله تعالى : **﴿فعصى آدم ربه﴾** وفي حق إبراهيم : **﴿والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يومَ الدين﴾**. وغير ذلك مما نتلوه ونؤمن به وليس لنا أن نخوض فيه بموازيننا، بل نكتفي بذكر الخبر كما جاء في القرآن أو في الحديث دون زيادة أو نقصان مع ما ثبت للأنبياء من الفضل والمقام الكريم عند اللّه .

قال تعالى : **﴿ وإنهم عندنا لمن المصطَفَيْن الأخيار ﴾** . والقول المأثور : (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، من خير ما يتمثل به في هذا الباب .

(٣٨٧) الأحزاب: ٥٧.

ختم الرسالة وعمومها

٧٢ـ ختم اللّه الرسالة بمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وجعل رسالته الرسالة العامة للجن والإنس والملائكة[٣٨٨] .

وجعل شريعته الشريعة [٣٨٩] الجامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقي آخر أطوارهم في وجودهم ، وهو طور رقيهم العقلي والعلمي والعمراني ، فأغنت عما قبلها من الشرائع فكانت ناسخة[٣٩٠] لها .

ولهذا جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة ، يخضع لها ويهتدي بها كل من سمعها وفهمها . لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٣٩١] .

---

(٣٨٨) جاءت الرسالة للثقلين : الإنس والجن وأما الملائكة فللتشريف لا للتكليف، لأنهم عليهم السلام معصومون من المعاصي ، منزهون عن النقائص : ﴿ **لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ .

(٣٨٩) الشريعة ما شرعه اللّه للناس من أحكام فيتبعونها كما يتبعون الطريق .

(٣٩٠) النسخ : التغيير والتبديل والاستغناء . فرسالة محمد عليه الصلاة والسلام لما جمعت من فضائل الرسالات السابقة، ولما احتوت عليه من خير كامل ونفع عام للبشرية كانت ناسخة لما قبلها من الشرائع أي مبطلة لها .

(٣٩١) الأحزاب: ٤٠.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾(٣٩٢)، **﴿لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾**(٣٩٣) **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القرآن﴾**(٣٩٤)، **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾**(٣٩٥)، **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾**(٣٩٦)، **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾**(٣٩٧).

ولحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعطي ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أن أَكُون أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**(٣٩٨)» رواه البخاري ومسلم(٣٩٩).

---

(٣٩٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣٩٣) الأنعام: ١٩. المعنى واللّه أعلم: لأنذركم بالقرآن، وأنذر من بلغه القرآن.

(٣٩٤) الأحقاف: ٢٩. صرفنا: أملنا ووجّهنا نحوك. والنفر: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة، ويطلق أيضاً على الواحد يقال: ثلاثة أنفار أي ثلاثة أشخاص.

(٣٩٥) المائدة: ٣. قيل: إن هذه هي آخر ما نزل من القرآن والصواب أنها من آخر ما نزل من القرآن: فقد نزلت في عرفة في حجة الوداع، ونزل بعدها غيرها.
وظاهر معناها: إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها.
وأما إتمام النعمة فقد كان باستقرار المسلمين في البلد الحرام الذي كان مُحرَّماً عليهم، وبجلاء المشركين عنه مرة واحدة، وأصبح المسلمون يحجّون إلى البيت الحرام وحدهم لا يشاركهم فيه أحد من المشركين.

(٣٩٦) العنكبوت: ٥١. (٣٩٧) الجاثية: ١٨.

(٣٩٨) كانت آيات ومعجزات الأنبياء والرسل السابقين معجزات حية قوية، وكثيراً ما تكون صارخة حتى آمن بها من آمن ممن شاهدوها، ولكنها ذهبت بذهاب وقتها وموت أنبيائها ولم يبق لها مفعول. أما آية محمد عليه الصلاة والسلام فعقلية معنوية باقية ما بقيت العقول والأفهام، وهي هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولذلك فالرسول يرجو كثرة الأتباع بقدر الاقتناع في كل الأزمنة وجميع البقاع. فالقرآن معجزة رسولنا الكبرى.

(٣٩٩) خ (٤٩٨١).م (١٥٢) وغيرهما.

عقائد الإيمان باليوم الآخر

انتهاء الوجود الدنيوي وحدوث الوجود الأخروي(٤٠٠) :

٧٣- نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي ، عند انتهاء أجل وجوده في علم اللّه : فينحلُّ نظام هذا الكون ، فيخرب الكون العلوي ، كما يخرب الكون السفلي(٤٠١) ، ليكون وجود العالم الأخروي في كون آخر ، ونظام آخر، إذ الذي قدر على خلقه ونظامه ، قادر على إعدامه وإبطال نظامه ، وعلى خلق مثله ونظامه .

لقوله تعالى : ﴿**وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**(٤٠٢) **وَمَا نُؤَخِّرُهُ إلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ**﴾(٤٠٣) .

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيَّان مُرْسَاهَا قُلْ إنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إلا هُوَ**(٤٠٤)﴾ .

---

(٤٠٠) اليوم الآخر هو يوم القيامة وله أسماء منها : يوم الفصل ، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الجزاء ...

(٤٠١) الكون العلوي : عالم السموات ، والكون السفلي : عالم الأرضين.

(٤٠٢) مشهود : منظور . (٤٠٣) هود : ١٠٣.

(٤٠٤) الأعراف: ١٨٧. الساعة : يوم القيامة . وأيان مرساها : متى وقوعها ؟ وكلمة أيان بمعنى أي حين ، فهي سؤال عن الزمان مثل متى .

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾(٤٠٥) .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾(٤٠٦) .

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾(٤٠٧)، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ...﴾(٤٠٨) .

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾(٤٠٩) .

المعاد والبعث :

٧٤ـ نؤمن بأن اللّه تعالى يحيينا بعد الموت ، ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا(٤١٠): من قبورنا ومن حيث كنا ، إلى الموقف الأعظم ، للمحاسبة

(٤٠٥) الانفطار: ١ـ ٥. انفطرت : انشقت وتصدّعت واختلّ نظامها . وانتثرت : تساقطت متفرقة منتثرة . فُجِّرت : فاضت أو فتح بعضها إلى بعض . بُعْثِرت : قلب ترابها وأخرج موتاها مبعثرين . وكل ذلك من علامات الساعة . علمت نفس ما قدمت وأخرت : أي من الطاعات والأعمال الصالحة .

(٤٠٦) المرسلات: ٨ ـ ١٠. طُمست : مُحقت وذهب ضوؤها كما يُطمس الأثر . فُرجت : شُقّت وصُدِّعت . نُسفت : قُلعت وأُتلفت .

(٤٠٧) الواقعة : ٤ ـ ٦. رُجت رجاً: زُلزلت زلزالاً شديداً. بُسُت بسّاً: فُتتت تفتيتاً كالدقيق المبسوس. والهباء المنبث: الغبار المنتشر المتطاير في الفضاء.

(٤٠٨) إبراهيم : ٤٨.   (٤٠٩) يس : ٨١.

(٤١٠) خلافاً لبعض المتفلسفين الذين لا يعقلون ويُحكِّمون خبطهم العقلي في كل أمر ولو كان مُغيّباً اختص الله بعلمه، مع علمهم بأن عقلهم قاصر ومتخبط في حكمه، تارة يخطئ، وتارة يصيب. يقولون: إن البعث للأرواح دون الأجساد!!.

على الأعمال والجزاء عليها ، إذ ذاك جائز في قدرته ، وواجب في عدله وحكمته . لقوله تعالى : ﴿**قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾(٤١١) ، ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾(٤١٢) ، ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**(٤١٣) ..﴾ ،﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾(٤١٤) ، ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾(٤١٥) ، ﴿**خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ**(٤١٦) ...﴾ ،﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ**(٤١٧) ...﴾ ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٤١٨) . ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**(٤١٩) * **هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ**(٤٢٠) **مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾(٤٢١) .

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ**

---

(٤١١) الجاثية :٢٦. (٤١٢) الأنبياء : ١٠٤.

(٤١٣) القصص :٨٥. المعاد: المرجع قيل: مرجعه مكة. وقيل مرجعه الجنة .

(٤١٤) المؤمنون : ١٠٦. (٤١٥) طه : ٥٥.

(٤١٦) القمر : ٧. الأجداث: القبور .

(٤١٧) التغابن : ٩. يوم الجمع: يوم تَجمُّع الناس للحساب والجزاء وهو يوم القيامة (يوم التغابن) . قال تعالى : ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**﴾. والتغابن من الغبن وهو النقص، يقال: غبنه : غبناً إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته، وذلك لأن الكافر يظهر فيه غبنته بتركه الإيمان ، والمؤمن بتقصيره في الإحسان.

(٤١٨) المطففين: ٦.

(٤١٩) جاثية: مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة. أو جاثية بمعنى باركة أي جالسة على الركب وأطراف الأصابع هلعاً وخوفاً. والكتاب: صحيفة الأعمال أو الكتاب المُنزَّل على نبينا.

(٤٢٠) نستنسخ: نستكتب. أي نأمر الملائكة بكتابة ما كنتم تفعلون.

(٤٢١) الجاثية : ٢٨ - ٢٩.

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّى ثُمَّ نخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أرذَلِ(٤٢٢) الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً(٤٢٣) فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذلكَ بَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(٤٢٤).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً (٤٢٥) وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٤٢٦).

---

(٤٢٢) من تراب: أي أول مرة عند خلق آدم عليه السلام، أو من أصل غذائنا وهو النبات الناشئ من التراب والماء. النطفة: المني من النطف وهو الصُلب. علقة: قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ. مخلقة: مسواة تامة الخلقة. وغير مخلقة: غير تامة الخلق تقذفها الأرحام جمع رحم وهو مستودع الجنين في بطن المرأة. أشدكم: كمالكم الجسمي والعقلي.
وأرذل العمر: أخسه وأسوؤه وهو سن التخريف والضعف النهائي لجميع القوى الكامنة في الإنسان، بحيث يعود إلى مثل الطفولة التي لا تعي ولا تدرك كثيراً، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً فسبحان المدبر والمقدّر ومن يقول للشيء كن فيكون.

(٤٢٣) هامدة: ميتة خاشعة جامدة، اهتزت: تحركت بالنبات. ربت: انتفخت وعلت. الزوج: الصنف والنوع من النبات. بهيج: حسن رائق يبهج الناظرين.

(٤٢٤) الحج: ٥ - ٧.

(٤٢٥) عبثاً: سدى وباطلاً تتمتعون تمتع الأنعام ولا تكليف ولا حساب.

(٤٢٦) المؤمنون: ١١٥ - ١١٦.

وزن الأعمال والجزاء عليها :

٧٥- نؤمن بأن اللّه تعالى ينصب الميزان [٤٢٧] يوم القيامة ، فتوزن أعمال العباد ليجازوا عليها ، ويُقتص من بعضهم البعض ، فمن رجحت حسناته نجا ، ومن رجحت سيئاته عُذِّب ، إذ ذاك واجب في عدل اللّه .

لقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [٤٢٨] ﴾ .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [٤٢٩] .

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ [٤٣٠] ﴾ .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [٤٣١] ﴾ .

(٤٢٧) الميزان: مخلوق من مخلوقات اللّه تعالى لا نعرف شكله ولا كيفيته، فهو مما نؤمن به بلا كيف. ووهم من يفسره بكفتين ولسان، لأن ذلك من البدائية في التفكير والتشبيه .

(٤٢٨) الأنبياء :٤٧. الموازين القسط: العادلة يحتمل الجمع والإفراد. ومثقال حبة من خردل: أي مقدارها من الخير أو الشر. وهو مثل يُضرب للقلة والتفاهة. وبرغم ذلك فالإنسان يُجازى عليه، وهذا منتهى العدل والإنصاف. من يعمل مثقال ذرة من خير أو من شر يُجازى عليه، وهكذا تُجزى كل نفس بما كسبت.

(٤٣٠) القارعة : ٦ - ٩. أمه هاوية: مأواه جهنم يأوي إليها راغماً كما يأوي الطفل إلى أمه. ومسكنه جهنم يتردى فيها. وراضية: مرضية أي بحيث يرضى بها صاحبها، فوُصفت بالرضى والراضي صاحبها .

(٤٣١) الجاثية : ٢١ - ٢٢. اجترحوا: اكتسبوا بجوارحهم .

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ**»؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هذَا، وَقَذَفَ هذا[٤٣٢] وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» رواه مسلم[٤٣٣].

الصراط:

٧٦- ونؤمن بأن الله يضرب الصراط [٤٣٤] على ظهر جهنم، فيمر عليه الناس أجمعون، فينتهي أهل الجنة إلى الجنة، ويسقط منه في النار أهل النار.

لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِياً**[٤٣٥]﴾.

---

(٤٣٢) القذف: رمي العرض بالاتهامات والريَب وهو من الكبائر وذلك من الموبقات التي يقع فيها كثير من السفهاء وضعاف العقول والإيمان، ﴿**وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم**﴾ فواجب المؤمن أن يتحرز عن ذلك، وأصله الرمي بالحجارة ونحوها، ثم استُعمل مجازاً في الرمي بالمكاره. سَفَكَ الدم أو سفَحَه: صبه وأراقه.

(٤٣٣) برقم (٢٥٨١).

(٤٣٤) يضرب الصراط: يضعه وينصبه.

(٤٣٥) مريم: ٧١ - ٧٢. جثياً: جاثين أي جلوساً قاعدين على الرُكَب جمع جاث أي بارك على ركبتيه.

دار العذاب :

٧٧ـ ونؤمن بأن اللّه خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر ، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتُهم على حسناتهم فاستحقوا العذاب . وأن العذاب فيها للأرواح والأجساد .

لقوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**[٤٣٦] * **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[٤٣٧] .

ولحديث أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**[٤٣٨] » رواه مسلم[٤٣٩] .

---

(٤٣٦) الزفير: إخراج النفس، والشهيق رده. فالزفير من الصدر، والشهيق من الحلق.
قال ابن عباس في الزفير والشهيق: صوت شديد وصوت ضعيف.
وقال الثعالبي في فقه اللغة (فصل ترتيب الأصوات) : فإذا أزفر به ـ أي الصوت ـ وقبح الأنين فهو الزفير ، فإذا مدّ النفس ثم رمى به فهو الشهيق.

(٤٣٧) هود : ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٤٣٨) شعيرة: حبة شعير، برة: حبة بُرٍّ وهو القمح، ذرّة: واحدة الذرِّ وهو الهباء الدقيق المنتشر في الفضاء ولخفته وتناهيه في الصغر، تُضرب به الأمثال في الدقة والتفاهة، ومع ذلك فهو معتبر في الحساب والعقاب والثواب، إذ ذلك مقتضى العدل الإلهي .

(٤٣٩) برقم (١٩٣).

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ(٤٤٠) ﴾ .

دار النعيم :

٧٨- نؤمن بأن اللّه خلق الجنة دار نعيم وخلود للمؤمنين ، وأنها محرمة على الكافرين .

وأن النعيم فيها للأرواح والأجساد .

وأن أعظم نعيمها هو رضوان(٤٤١) اللّه .

لقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ(٤٤٢) ﴾ .

ولقوله تعالى :﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا(٤٤٣) عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٤٤٤).

ولقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤٤٥) .

---

(٤٤٠) النساء : ٥٦. أي كلما احترقت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها حية ليستمر ألمهم وعذابهم، وخص الجلود لأنها أماكن الحساسية والاستشعار وشدة الألم.

(٤٤١) الرضوان: مصدر رضي يرضى رضىً ومرضاة: ضد السخط ومعناه رضوان اللّه، ورضاء اللّه أكبر من الجنة ونعيمها. [وأحبّ من ذلك رؤية المؤمنين ربهم في الجنة في يوم المزيد كما هو ثابت في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي اللّه عنه . «.. فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجلّ» مسلم (١٨١) وغيره. الناشر]

(٤٤٢) هود : ١٠٨. غير مجذوذ: دائم غير منقطع. يقال: جددت الشيء وجذذته أي قطعته، فنعيمهم باق مستمر لا ينتهي في الجنة .

(٤٤٣) أي الماء والرزق المذكوران في أول الآية: ﴿**ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ .

(٤٤٤) الأعراف: ٥٠. (٤٤٥) الطور : ١٩.

ولقوله تعالى : ﴿ **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**[446]﴾اهـ.

﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين**﴾[447] .

وصلى اللّه على سيدنا محمدوعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

(٤٤٦) التوبة : ٧٢. أي أعظم من كل نعيم آخر، فلا فضل ولا نعيم ولا سعادة أتم وأعظم من مرضاة اللّه على الإنسان . اللهم ارض عنا ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين آمين يا رب العالمين .

(٤٤٧) الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢.

الفهـــــــرس

هـذا الكـتـاب

- يعرض العقيدة الصحيحة بأسلوب سلس وبعبارة بسيطة سهلة .
- يتناول مسائل العقيدة بجلاء وسهولة كما تناولها صحابة رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة من بعدهم .
- يفيد في تعليم الناشئة العقيدة فهو يعرض المسألة ثم يبين الدليل عليها بعيداً عن تعقيدات المتكلمة والمتفلسفة .
- يرد على من يدعي صعوبة تناول العقيدة والدعوة إليها بلسان الحال والمقال.
- كتبه مرب ومجاهد معروف، له في نفوس من يعرفونه المكانة والاعتزاز.



دار الفتح

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف المكتبة : ٠٦/٢٤٢٥٢٤ ، هاتف نشر : ٠٦/٥٢٢٩٠١٨ ، فاكس المطبعة : ٠٦/٥٢٣٢٣٠٨

فاكس ٠٦/٢٢٢٥٢٩٠ ، ٠٦/٢٢٦٨٣٨٠ ، ص.ب ٣٣٤٢٤ ، الشارقة ، إ.ع.م